



# العبرة في ميزان الإسلام

إعداد

نبيل زرق محمد الصبي الحري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مفهوم العبقرية وارتباطها بمفاهيم أخرى.

**المبحث الأول:**

**تعريف العبقرية لغة واصطلاحاً:**

إذا أردنا تعريف مصطلح العبقرية فعلينا الرجوع الى العصور الرومانية القديمة إذ أن هذه الكلمة ليست عربية الجذور ولا عربية المنشأ بل يعود أصلها إلى اللغة اللاتينية وهي "جيناس" genius ويقصدون بها الروح الحارسة. كان يعتقد أن "جيناس" أو الروح الحارسة شيء يلزم المرء منذ مولده وحتى موته.

**اصطلاحاً:**

الناظر في تطور هذا المصطلح والمراحل التي مر بها يجد أنه مصطلح مستشكل عصي على الفهم، لم تأخذ كلمة العبقرية معناها المعاصر إلا مع بداية القرن الثامن عشر- وظهر عصر التنوير وهي مزيج من خصال متعددة كالموهبة والذكاء الخارق والنبوغ تجعل صاحبها ذا قدرة عالية وفريدة على الابتكار والاختراع.

**العبقرية:** ملكة كامنة في النفس تمكن صاحبها من

تحقيق إنجازات باهرة.

**سؤال:** هل العبقرية فطرية أم مكتسبة؟

المتبصر في أحوال الناس يرى أن علامات النبوغ والذكاء تظهر على الإنسان منذ نعومة أظافره وبذلك تعلم أن هذه الخصال قد جبل عليها أصحابها غير أنها تبقى خاملة مستترة حتى تكون العوارض ومنعرجات الزمن هي التي تتولى ترقيتها وإصلاحها، فالنشأة والبيئة عوامل أساسية في صقل الموهبة وإيقاد جذوتها.

**المبحث الثاني:**

**ارتباط العبقرية بالجنون في ميزان الإسلام:**

يعتقد بعض علماء النفس أن العبقرية ضرب من ضروب الجنون وذلك لأنها تحمل في طيتها خروجاً عن المألوف فكثير من العباقرة كانوا غربي الأطوار وتصرفاتهم أقرب للجنون منها للعقلانية، من أمثلة ذلك الرسام الهولندي فانجوخ الذي كان يصاب بنوبات جنون حقيقة وحاول قبل ذلك قتل زميله بول غوهان وعندما تعلق بفتاة

حسنا قطع أذنه وقدمها إليها كهدية ومات في النهاية منتحرا.

نيتشه الفيلسوف الألماني قضى أكثر من اثني عشر سنة في مستشفى المجانين، أما أنشتيان عالم الفيزياء الكبير كان حامل الذكر عاجزا عن التواصل مع الآخرين وغيرهم كثير.

فهل يوجد التباس بين العبقرية والجنون وهل العبقري شخص سوي أم لا؟

**أولاً:** اعلم أن الحكم عن الشيء فرع عن تصوره وحتى نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة وجب علينا أن نعرف حقيقة الجنون وما هو ضابطه.

### تعريف الجنون:

**الجنون في اللغة:** مصدر جن و جنون و فعله جن بضم أوله ويقال فلأن جن عقله، فسد وزال وجن الشيء عليه ستره ومنه الجن بالكسر مخلوقات خفية وقيل للحديقة الكثيرة الأشجار جنة لأنها مستورة لكثرة ما فيها من الظلال.

**الجنون عند علماء النفس:** هو عدم القدرة على السيطرة على العقل أو هو مجموع من السلوكيات الشاذة التي تميز أنماط من السلوك الشاذ التي يقوم بها الأشخاص بدون

وعى وإدراك ورغما عن إرادتهم والذي يؤدي إلى انتهاك المعايير الاجتماعية وقد يصبح هؤلاء الأشخاص يشكلون خطرا على أنفسهم والآخرين.

خلاصة القول أن الجنون اختلال في العقل يورث سلوكيات غير مألوفة ومن هنا حصل الالتباس بين العبقرية والجنون إذ إن الناظر في حال المجنون وحال العبقرى يجد بينهما بعض القواسم المشتركة والحق أن هذا ليس بمطرد فكثير من العباقرة هم أشخاص أسوياء لم يتهموا في مداركهم العقلية وهذا الاحتمال يضعف نظرية ارتباط العبقرية بالجنون.

كما أنه لا يلزم أن كل سلوك غريب أو تصرف عجيب يكون جنونا وهل كانت الانجازات العظيمة أو الاختراعات التي غيرت مجريات التاريخ إلا خروجا عن السائد وثورة على الواقع القديم، ثم عليك أيها القارئ أن لا تهمل عامل الزمان والمكان فما صار مألوفا اليوم لم يكن منذ مائة سنة كذلك فلو أن إنسان حاول الصعود إلى القمر منذ مئات السنين لاتهم بالجنون أو زعم أنه قادر على السفر من طنجة إلى مكة في ست أو سبع ساعات لحجر عليه ومنع من مخالطة الناس.

إذا فكل هذه الاعتراضات تضعف النظرية التي تلبس العبقرية ثوب الجنون وما تطرق اليه إلا حتما ضعف في الاستدلال.

### العبقرية والجنون في منظور الشرع:

كانت العرب في الجاهلية يعتنون بالشعر ويعظمون أمره ويعلمون شأنه حتى أن القبيلة إذا نبغ فيهم شاعر احتفوا به كما يحتفى بالعروس فقد كان الشعر بالنسبة لهم لسانهم الناطق وديوانهم الجامع فهو الذي يخلد مآثرهم ويثأر أخلاقهم وآدابهم ولذلك كان الشاعر مبعجلا مقدما فيهم. وإذا نظرنا في تعريف الشعر في اللغة لوجدنا أن فيه معنى من معاني العبقرية، قال في القاموس: إن الشين والعين والراء أصلان معروفان يدل أحدهما على الثبات والآخر على علم، فإذا قيل إن أحدا شعر بشيء أي أنه علمه وفطنه ولذلك سمي الشاعر شاعرا لأنه يفطن إلى ما لا يفطن إليه غيره. اهـ

إذا فالموهبة والنبوغ مادة الشعر الأساسية ولذلك قال بعضهم الشاعر يولد ولا يصنع.

كان هذا حال العرب في الجاهلية حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم بالقرآن فأعجزهم بيانه

وكان معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فرموه بالجنون قال تعالى في رده على المشركين: **﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾** [التكوير: ٢٢]، وقال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾** [المؤمنون: ٧٠].

قال الطبري في تفسيره: (يقولون به جنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول (بل جاءهم بالحق)، يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذا واضح بين وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون.

أقول: هذا الكلام الذي ذكره الطبري رحمه الله هو الحد بين العبقرية والجنون فالعقول السليمة تميز بين الخطل والحكمة وبين البلاغة والهذيان.

خلق الله البشر وميزهم بالعقل دون سائر مخلوقاته وجعل ذلك مناط التكليف وأمرهم بالتفكير في آيات الكون قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [آل عمران: ١٩٠].



قال ابن كثير: (أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بمحقاتها على جلياتها كالصم البكم الذين لا يعقلون. وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». رواه مسلم.

ولا شك أن العقل من أهم عوامل القوة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: (أعظم النعم على الإنسان العقل لأنه الألة والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، هو دليل التائهيين ومرشد الحائرين وغنى الفقراء وسولة المحزونين ودليل الناصحين). أه

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقولا وأكثرهم فطنة إذ اصطفاهم الله لصحبة نبيه وحملهم أمانة الدين بعده خاصة الخلفاء الراشدين، أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر الملمهم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر». رواه الشيخان.

والمراد بالمحدثين هم الملهمون الذين يجري الصواب على أسنتهم أو يخطر الشيء ببالهم فيكون موافقا للشرع. وقد وافق عمر القرآن في أكثر من موضع فكان رضي الله عنه أحد عباقرة هذه الامة.

## ٢- العبقرية والوراثة:

### العبقرية:

١ بالمائة إلهام و ٩٩ بالمائة عمل وجهد ومثابرة.

### توماس أديسون

هكذا قال توماس أديسون غير أن بعض الباحثين يعتقد أن العبقرية متعلقة بجينات وراثية هي المسؤولة عن القدرات الباهرة التي يتخلى بها الشخص العبقري والذي أثبتته البحوث والتجارب العلمية يؤدي ما قاله توماس أديسون ويرى أصحاب هذا الرأي أن كل إنسان يمكن أن يكون عبقريا إذا أراد ذلك، يقول andro ericsson الأستاذ بجامعة فلوريدا التدريب الطويل والعمل على تطوير الذات يمنحان الشخص قدرات لا يتمتع بها الآخرون.

والحق أن أدلة الشريعة تشهد لهذه النظرية إذ أن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم كما جاء على لسان نبينا صلى الله

عليه وسلم، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] أي زكَّاهَا بالطاعة و دسَّاهَا أي بالإثم والمعصية.

وهذا إنما يكون بالعمل الطويل والجهد الكبير وحمل النفس على ما تكره إذا كان فيه صلاحها والتكلف يجعل الشيء سليقة إذا دأب عليه صاحبه، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (وكيف لا يكون التكلف سبباً في أن يصير المتكلف في الآخرة طبعاً وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفاً ويقرؤه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدناً للسان مطرداً حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا

١ الشمس: ٩

٢ إحياء علوم الدين/ المجلد الثاني/ ص ٢٩٦

بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة).  
فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدانها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها إحياء علوم الدين.

وهذا تقرير بديع من إمام جليل إذ كيف يعقل أن تنال المطالب والرغائب دون مشقة أو متاعب.

### العبقرية وارتباطها بالذكاء في ميزان الإسلام:

#### أولاً ما هو الذكاء؟

حاول كثير من العلماء تعريف الذكاء ولكن لا يوجد إلى حد الآن تعريف جامع مانع يحدد ماهية الذكاء وهذا ما دعا جمعا من الباحثين إلى تطوير هذا المفهوم ومن أبرز من قام بذلك البروفيسور "هاورد غاردنر عالم النفس وأستاذ التعليم والإدراك بجامعة هارفرد إلى أسس نظرية الذكاءات المتعددة والتي كانت ردة فعل على النظرية القديمة للذكاء ألا وهو الذكاء الأحادي والمراد به الذكاء الرياضي أو الذكاء المنطقي، تقوم هذه النظرية على تعدد الذكاء فكل فرد يمتلك ذكاء خاص به والذكاءات متعددة ومتنوعة ومستقلة لدى المتعلم ويمكن تطويرها

وتوجيهها عبر التحفيز والتشجيع والتعليم والتدريب مع مراعاة الرغبة والشغف لدى المتعلم ومن ثم التركيز على نوع الذكاء الملائم لكل شخصية وتنميته مما ينتج الشخصية العبقرية.

وهذا ما تميل إليه النفس وهو ما يتوافق مع أدلة الشرع ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال السعدي رحمه الله: أي فهمناه هذه القضية ولا يدل ذلك أن داود لم يفهمه الله في غيرها ولهذا خصصها بالذكر بدليل قوله: ﴿وكلا﴾، من داود وسليمان. ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. أه.

فالفهم رزق من الله عز وجل يؤتیه من يشاء من عباده كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سئل (هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الوحي قال: (ألا فهما يؤتاه الرجل في كتاب الله)

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متعددي الذكاءات كما جاء الحديث الذي رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشهدهم في دين الله عمر وتصدقهم حياء عثمان و

أقضاهم علي وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت ألا وإن لكل أمة أميننا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». فهذا الحديث فيه تقرير من النبي صلى الله عليه وسلم أن كل صحابي يتميز بخصلة من خصال العلم مع أنهم يشتركون في أصل المعرفة إلا إن كل واحد منهم قد حباه الله موهبة مخصوصة وذكاء مستقلا يجعله ينبغ في بعض مجالات العلم دون الأخرى والله تعالى أعلم.

### المبحث الخامس:

#### ارتباط العبقرية بالأسرة والمجتمع في ميزان الإسلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِيهِ، أَوْ يَنْصَرَانِيهِ، أَوْ يُمَجَّسَانِيهِ، كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ». رواه الشيخان

فالولد مزاج أمه وأبيه والأسرة نواة المجتمع الأساسية والمدرسة الأولى للفرد التي يتعلم فيها مهارات العيش ولذلك أناط الله عز وجل مسؤولية التربية والرعاية بالآباء قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادُوا نَفْسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:  
٦] التحريم وقال صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع  
وكلكم مسؤول عن رعيته».

والوالدان أيضا هما أول من يكتشف ميولات الطفل  
وقدراته وهما اللذان يعملان على توجيهها وتطويرها  
فالإحاطة والمراقبة عوامل مهمة في تكوين الشخصية  
العبقرية فكم من موهبة ضاعت بسبب إهمال الآباء  
لأبنائهم وتقصيرهم في العناية بهم والأسرة في المجتمع  
بمنزلة القلب في الجسد إذا صلحت صلح سائر المجتمع  
وإذا فسدت فسدت المجتمع بأسره، كما أن الفرد إذا نشأ في  
مجتمع محب للعلم معظم للمعرفة انعكس ذلك على  
شخصيته وميولاته والتنافس والمخالطة مما ينمي الموهبة  
ويحفز ملكة الإبداع لدى الطفل وإنما تقاس نهضة  
المجتمعات بمدى تقديره للعلم ويجدر أن يقال أيضا في  
هذا المقام أن الصدمات والمحن قد تكون أيضا عاملا  
هاما في إنتاج الشخصية العبقرية لذلك نجد أن كثيرا من  
العباقرة قد مروا بأزمات وابتلاءات كانت منعرجات في  
إبداعهم ومما يحضرنى في هذا المقام ما أصاب عبد الرحمن  
ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الذي أصيب بفقد

أبويه وعدد كثير من شيوخه الذي انتشر- في جميع أنحاء العالم سنة ٧٤٩ هـ مما حدا به إلى اعتزال الناس والاشتغال بالتأليف والتصنيف لينتج لنا ذا النتاج العظيم، كتاب المقدمة الذي لازالت البشرية تنهل منه إلى يومنا هذا ومن المعلوم أن العزلة والخلوة من أسباب الحكمة وكان نبينا صلى الله عليه وسلم قد حبت إليه الخلوة قبل البعثة وكان يتحنث الليالي ذوات العدد في غراء حراء حتى جاءه الوحي، فالعزلة أصفى للذهن وأجلى للقلب وأرحم للسجية والله تعالى أعلم.





## الفصل الثاني:

مقدمات للعبقرية في الاسلام:

### المبحث الأول:

#### الإيمان مبدأ وضرورة للعبقرية في الاسلام.

الأعمال العظيمة منشؤها فكرة، نظرية النسبية لأنشتيان كانت فكرة و قانون الجاذبية لنيوتن كان فكرة وهكذا تنشأ الإنجازات الكبيرة التي يكون لها أثر عظيم على الفرد والمجتمع لكن الذي يصير الفكرة واقعا هو الوعي والوعي هو المعرفة مع الرغبة في التغيير وهذا هو الإيمان الذي يمثل أهم بواعث العمل ودوافعها بغض النظر عن كونه إيمانا صحيحا أو باطلا.

إذن فالإيمان هو أحد أهم أدوات العبقرية بل هو وقودها وأصلها التي يمدها بالحياة فالجهد والمثابرة لا بد لهما من محفز ألا وهو الإيمان.

#### الإيمان في الإسلام:

الإيمان هو أصل كل عمل صالح فكلما قوي الأصل قوي معه الفرع فهو الذي يطلب العمل ويستحثه وهو الذي يطلق الجوارح ويستثيرها قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَنَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].  
يخبر الله تعالى في هذه السورة أن جميع الخلق في خسر- إلا  
من تحلى بهذه الخصال والتي صدرها بالإيمان لأنه سبب  
كل فلاح ثم أردفه بالعمل الصالح لأنه ملازم له وصادر  
عنه بل هو جزء منه.

### المبحث الثاني:

أقوال الملاحدة في وجود الله:

تعريف الإلحاد:

لغة:

الإلحاد:

الميل عن الاستقامة يقال ألحد في دين الله أي حاد عنه  
وعدل إلى غيره ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي  
آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وألحد فلان، إذا  
ترك القصد ومال إلى الظلم.  
ويقال لحد القبر وألحده أي جعل الشق في جانبه لا في  
وسطه.

والملتحد: الملجأ لأن اللاجئ يميل إليه ومنه قوله تعالى:  
﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

### اصطلاحاً:

مذهب فكري ينفي وجود خالق الكون و اشتقت التسمية  
في اللغة الإغريقية (أثيوس atheos) وتعني بدون إله.  
ومن هنا ظهرت التفرقة بين مصطلح الإلحاد وبين  
مصطلح الربوبي واللاديني.  
فالملحد، هو المنكر للدين ولوجود الإله.  
واللاديني هو الاسم الذي يفضله كثير من الملاحدة مع أن  
لفظ اللاديني يعني من لا يؤمن بدين وليس بالضرورة أن  
يكون منكراً للإله.

### ٢- أقوال الملاحدة و حججهم في نفي وجود الإله:

تختلف أقوال الملاحدة و حججهم غير أن مردها إلى أمر  
واحد وهو إنكار وجود الصانع.

### يقول ألبرت أنشتيان:

(يبدو لي أن فكرة وجود إله شخصي- هو مفهوم  
أنثروبولوجي لا أستطيع أخذه على محمل الجد علاوة على  
ذلك لا يمكنني تصور إرادة أو هدف خارج نطاق  
البشرية.

ويقول ماركس:

(الدين هو زفرة المخلوق المضطهد قلب عالم لا قلب له وروح ظرف بلا روح إنه أفيون الشعوب).

وفي القديم ناقش "أبيقور صاحب الفلسفة الأبيقورية الطبيعة الإلهية وأنكر تماما وجود الله ولذلك انصبت هذه الفلسفة على التمتع بملاذ العالم الحاضر وكان شعارهم لتأكل ونشرب لأننا غدا نموت.

**وقال أرسطو:** (إن الروح مرتبطة بالجسد ارتباطا وثيقا فلا يمكن فكاكه ولذلك فإن موت الإنسان يعني أيضا فناء الروح وبالتالي لن يكون هناك ثواب أو عقاب خارج نطاق الحياة). (كتاب الاحاد في الغرب ص ٢٦)  
د.رمسيس عوض.

**ومن شبهات الملحدين التي يتعلقون بها قوهم:**

- إذا كان الله موجودا فلماذا لا نراه؟

لو كان الله موجودا وهو روح فكيف خلق العالم المادي، هذا ما زعمه أحد الكتاب الإيطاليين سنة ١٦١٦ وهو "يوليوس سيزار فانييني" و كان كتابه عبارة عن حوار دار بين الاسكندر و يوليوس قيصر حول قضية يمكن لإله غير مادي، أن يخلق عالما ماديا؟

- وزعم آخرون أن الإيمان ضد العقل والتقدم العلمي. يقول جورج سميث: (الإيمان بوجود إله قائم مبني على الزيف فضلا عن أنه شيء ضار والبديل هو الإلحاد، فالإلحاد وليد العقلانية وهو النتيجة الطبيعية لاستخدام العقل).

وذكروا مقالات أخرى لا تمشي على قدم ولا على ساق ولا على خف لا نطيل بذكرها وهي شبه يغني بطلانها عن أبطالها وليس هذا مقام الرد عليها إنما قصدنا بيان أقوالهم فقط.

### المبحث الثالث:

### عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم.

قد سبق لنا الحديث في تحرير مصطلح العبقرية وقد خلصنا إلى أنها صفة بشرية مكتسبة و عليه فإن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة هو مسلك دقيق يحتاج إلى بعض التنبهات حتى لا تلتبس المفاهيم و تختلط المصطلحات فلو نسبنا كل ما حققه النبي صلى الله عليه وسلم من نجاح لمجرد العبقرية فقط لأفضى بنا ذلك إلى نفي صفة النبوة عنه التي تعد السبب الرئيسي في

التمكين و انتشار الدعوة الاسلامية و قد انتهج بعض المنبطحين من كتاب المسلمين هذا المسلك، يغازلون الغر ب بالترويج لشخصية محمد العبقري و الزعيم و البطل و المصلح الاجتماعي فهذه الصفات مما يتفق عليه جميع العقلاء على اختلاف مذاهبهم وديانتهم مما يشكل أرضية مشتركة بينهم و لا تثير حفيظة الكفار.

و نحن نقول: أن العبقرية باعتبارها صفة بشرية ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم فهو أكمل الناس عقلا و خلقا و لا يمكن أن نفسر- سيرته صلى الله عليه وسلم في ظل مفهوم العبقرية إذ إننا بذلك نزيل عنه صفة الوحي و نجرده من التأييد الإلهي له.

"عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم مهما بلغت لا يمكن أن تفسر مقدرته على تحقيق التمكين في الأرض و إقامة ذلك المجتمع المثالي و توسع رقعة دعوته و دولته فهذا أمر أكبر من مجرد عبقرية". د. هشام عزمي

ويقول الدكتور مصطفى محمود: (وأيا كان التفسير فإنك إن أخذت تحسب بالورقة و القلم كيف حدثت هذه الأمور و استعنت بالعقل الالكتروني و كافة وسائل الحساب الحديثة فإنك لا تستطيع أن تفسر كيف أن فردا واحدا

مضطهدا يؤثر هذا التأثير في أفراد قلائل يعدون على الأصابع ثم يؤثر هؤلاء في كثرة من مئات ثم ألوف تهزم الروم ثم الفرس وكانتا دولتين كأريكا وروسيا في ذلك الوقت يحدث كل هذا في سنوات معدودة وابتداء من الصفرو من بدواة مطلقة ومن عرب مشرذمين في قبائل تقتل بعضها بلا حضارة وبلا علم يذكر وأنتك لن تصل أبدا في حسابك إلى تلك النتيجة الهائلة وستظل المعادلة ناقصة حتى تدخل فيها ذلك العامل الخفي عامل الغيب و سند المدد الإلهي من التمكين والتوفيق... نحن إذن أمام نبوة مؤيدة بسند الغيب ورجل انعقد له لواء التمكين الإلهي ولسنا أمام مصلح اجتماعي أو صاحب ثورة أو عظيم من عظماء الدنيا، يعمل بالاجتهاد والعلم الكسبي).

هـ

### \*مسألة:

#### هل النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد؟

الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم يسوغ له الاجتهاد والعصمة حاصلة له على كل حال. يقول الشاطبي رحمه الله: (الحديث إما وحي من الله صرف وإما اجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم معتبر بوحى

صحيح من كتاب أو سنة وعلى كلا التقديرين لا يمكن التناقض مع كتاب الله لأنه عليه الصلاة والسلام ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وإذا فرع على القول بجواز الخطأ في حقه فلا يقر عليه البتة فلا بد من الرجوع إلى الصواب والتفريع على القول بنفي الخطأ أولى أن لا يحكم باجتهاده كما يعارض كتاب الله تعالى و يخالفه). أ.هـ.

وقال الشوكاني رحمه الله: (يجوز الاجتهاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء والحجة في ذلك):  
**أولاً:** أن الله سبحانه خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم كما خاطب عباده وضرب له الأمثال وأمره بالتدبر والاعتبار وهو أجل المتفكرين في آيات الله وأعظم المعتبرين.

ويدل على ذلك دلالة واضحة ظاهرة قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾، فعاتبه على ما وقع منه ولو كان وحيًا لم يعاتبه.

ومن ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدى».



أي لو علمت أولاً ما علمت أخراً ما فعلت ذلك ومثل ذلك لا يكون فيما عمله صلى الله عليه وسلم بالوحي وأمثلة هذا كثيرة. اهـ

فالحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما صدر عنه القول أو الفعل عن رأي منه واجتهاد ثم يقره الوحي عليه فيسكت عنه أو يؤيده ونادراً ما كان يأتي الوحي بتصويبه.

### المبحث الرابع:

#### مفاتيح العبقرية في الاسلام.

إذا سبرنا حال الشخصية العبقرية عموماً والإسلامية بشكل خاص وجدنا أنها تتمتع بأربعة خصال لا تكاد تنفك عنها وهي الصدق وعلو الهمة والشغف والاتباع.

#### ١- الصدق:

#### الصدق:

هو مفتاح الفلاح ولا يفلح إلا الصادقون قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «للرجل الأعرابي الذي سأله عن شرائع الإسلام لما قال الأعرابي لا أزيد على ذلك ولا أنقص منه، أفلح وأبيه إن صدق» رواه الشيخان.

ولما قال له رجل في إحدى الغزوات إنما بايعتك على الشهادة فقال له صلى الله عليه وسلم اصدق الله يصدقك فلم يلبث أن قتل في المعركة فقال صلى الله عليه وسلم: «صدق الله فصدقه». رواه النسائي.

والصدق يزيل عن النفس الخمول والكسل ويبعث فيها روح العمل والاجتهاد، والصادق يوفق للصواب ولا يكون بينه وبين الحق حجاب.

## ٢- علو الهمة:

لا ينال المطالب العالية والمناصب السامية إلا ذوو الهمم العالية ولكن الشقي من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

وصاحب الهمة العالية يستقرب البعيد ويستحقر العظيم ويستصغر الكبير في غير كبر ولا بطر إنما يرى نفسه أهلاً لكل مكرمة، بعيد عن كل منقصة لا يجاري السفهاء ولا يماري الرعاع والدهماء وقد جاء في الحديث أن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها.

و من كان عالي الهمة كان متميزا عن أقرانه فريدا بين  
 اترا به ترنو همته إلى كل بديع جديد و تسمو نفسه إلى كل  
 رأي سديد فبذلك يتحصل له من المواهب و الإنجازات ما  
 لا يدركه الكسالى و البطالون و لا يبلغه الفاترون  
 العاجزون.

### ٣- الفطنة:

صفة لا تنفك عن العبقري فمن لم يحصلها فلا يتعين  
 نفسه في إدراك المعالي و نيل الأماني، و قال أهل اللغة:  
 (أصل هذه المادة يدُّ على ذكاءٍ و علم بشيء)، و الفِطْنَةُ  
 و الفِطَانَةُ كالفهم، و هي ضِدُّ الغباوة، و رجل فَطِنٌ: بَيَّنُّ  
 الفِطْنَةَ، و فَطِنٌ - بالضم - إذا صارت الفِطَانَةُ له سَجِيَّةً،  
 و رجل فَطِنٌ بخصومته، عالم بوجوهها حاذق، و يتعدَّى  
 بالتَّضْعِيفِ، فيقال: فَطِنْتُهُ للأمر.

**وقال الراغب:** الفِطْنَةُ: سرعة إدراك ما يُقصد إشكاله. اهـ.

فالفطنة قسيم الذكاء و مادة العبقرية و المؤمن كيس فطن.

### ٤- الإتياع:

المعرفة ذات طبيعة تراكمية أي أنها لا تتحصل جملة  
 واحدة إنما عبر الأيام و الليالي مع التعلم و التدريب  
 و إدمان وسائل المعرفة و خضم هذا كل يحتاج المتعلم إلى

قدوة ترشده وأسوة ينهل من تجربتها ويستفيد من خبرتها  
 فإننا معشر البشر أهون من أن نخترع شيئاً ليس عندنا فيه  
 مثال سابق أو أصل نقيس عليه فجميع العباقرة لم يصلوا  
 إلى معظم ما أنجزوه إلا لأنهم بنوا أفكارهم ونظرياتهم على  
 ما سبقهم به أقرانهم وهذه سنة كونية قدرية في النقص  
 من طبع البشر و ما من عالم إلا ويعزب عنه من العلم ما  
 يفتن له غيره قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا  
 قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].



## الفصل الثالث:

### ارتكازات العبقرية في الإسلام:

معرفة تعاليم الإسلام ومقاصدها:

#### أولاً: التوحيد:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل في قوم ما يرون شيئاً أحب إليهم من عبادة الأصنام وشرب الخمر وسفك الدماء يبطش القوي فيهم بالضعيف، ويمكر الضعيف فيهم بالقوي، ويأد الرجل ابنته في التراب وتباع المرأة وتشتري بثمن بجس بل تلحق بالتركة التي يتركها زوجها بعد موته فكانت هذه حال الجاهلية فساد في الاعتقاد، فساد في المعاملات، وفساد في الأخلاق.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فما ترك بابا من أبواب الخير إلا دل عليه ورغب فيه، وما ترك بابا من أبواب الشر إلا حذر منه ونفر عنه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من ظهورها، ويكافحون بعض الظواهر الاجتماعية والعيوب الخلقية فحسب، بل أتى صلى الله عليه وسلم بيت الدعوة والإصلاح من بابه. فدعا الناس إلى الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت والأوثان، فمكث صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد ويحارب الشرك لعلمه أنه أعظم أبواب الجاهلية وحصنها المنيع، فإذا كسرت كسرت بعده سائر الأبواب.

**ثانيا:**

### التخلية قبل التحلية:

فكان كما قال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يفرغنا ويملؤنا، أي أنه كان يفرغهم من الشرك ويملؤهم بالتوحيد.

وقال جندب بن عبد الله رضي الله عنه: (تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا). رواه ابن ماجه.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفرغ قلبه مما لا يحب الله ويملؤه بما يحبه الله، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله، وكذلك يفرغه من محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله ويدخل فيه خوف الله).

وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمهده القرآن ويقويه لا يناقضه وينافيه كما قال جندب وابن عمر: (تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فزددنا إيماناً). ١٠ هـ فكانت هذه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في مكة.

حتى إذا استتب لهم أمر الإيمان وانعقد لهم لواء التوحيد نزلت الشرائع لتكمل الصرح العظيم.

فشرعت الصلاة خمس مرات في اليوم طهارة للروح والبدن، وشرعت الزكاة تطهيراً للنفس من حب المال، وشرع الصيام كبحاً لجماح الشهوة وإرغاماً للنفس، وشرع الجهاد إعلاء للنفس ورفعاً لها عن المادية وحب الدنيا، فهذا هو مقصد الإسلام العظيم ألا وهو تزكية النفوس والسمو بها وإخراجها من حل الوهن والخرافة

وتطهيرها من درن الذل والانحطاط، وتخليصها من سلطان الشهوة. أه

### المبحث الثاني:

### الاسترسال في الأفكار ضمن شرائع الإسلام:

كان هذا منهج الإسلام في التربية البدء بالأصول قبل الفروع وبالعقائد قبل الشرائع.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (إنما نزل أول ما نزل من سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبدا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده) رواه البخاري<sup>٣</sup>.

يقول أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى في كتابه العظيم ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: (وانحلت العقدة الكبرى، عقدة الشرك والكفر فانحلت العقد كلها،

٣ صحيح البخاري/ ٤٩٩٣.



وجاهدهم الرسول جهادهم الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة وقد دخلوا في السلم كافة بكل جوارحهم وقلوبهم وأرواحهم كافة، ويشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ولا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهى.

حدثوا الرسول عما اختانوا به أنفسهم، وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد، إذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد، نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحتهم فحال أمر الله بينها وبين الشفاء المتلمظة والأكباد المتقدمة، وكسرت دنان الخمر فسالت في سكاك المدينة، حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم انصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد لا تجزعهم المصيبة ولا تبطرهم نعمة ولا يشغلهم فقر ولا يطمعهم غنى، ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة، ولا يريدون علو في الأرض ولا فساد، وأصبحوا للناس الفسطاس المستقيم قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وأبطأ لهم أكناف الأرض  
وأصبحوا عصبه للبشرية ووقاية للعالم وداعية إلى دين  
الله.

واستخلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم في عمله ولحق  
بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته. انتهى كلامه  
رحمه الله.

فمن أجل ذلك انتشرت الدعوة الإسلامية انتشارا سريعا  
ومدهشا في آن واحد، وكان ذلك دليل صدقها إذ أنها دعوة  
ربانية تصدر عن مشكاة ربانية فالله سبحانه هو العالم  
بدوافع النفس واسرارها ويعلم ما يصلحها وما يفسدها  
قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾  
[الملك: ١٤].

### المبحث الثالث:

#### تلازم الظاهر والباطن:

وبفضل هذا الإيمان الراسخ والجهد النبوي المتقن بعثت  
الإنسانية من جديد وتأسست أمة جديدة هي خير الأمم  
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر شعارها الصدق والأمانة  
سرهما كعلايتها يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن

في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا  
فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

لذلك عني الإسلام بإصلاح القلوب وبدأ بها، لأن القلب  
سلطان الجوارح وسيدها.

ولا يصلح القلب إلا بالإيمان الذي هو ماء الحياة للقلب،  
فإذا آمن العبد انقلبت حياته وتغلغل الإيمان في أحشائه  
وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره.

وكثيرا ما نجد أن صاحب الشريعة يقرن بين العمل  
الصالح وبين الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ  
أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجُبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [المائدة: ٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم  
الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». الحديث رواه الشيخان ٤.

فالإيمان أعظم وازع عرفته البشرية فهو الذي يحمل النفس على مراقبة الله تعالى ومحبته وتعظيمه ومراعاة حدوده، وهكذا يكون الإيمان حارساً لأمانة الإنسان وصدقه وعفافه فينشأ العبد مستقيماً صالحاً في نفسه مصلحاً لغيره لا يخش إلا الله ولا يخاف في الله لومة لائم.

### المبحث الرابع:

#### القدوة الصالحة:

الاعتداء هو الاستفادة من تجارب الآخرين وقديما قيل:

(السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه).

يعنون بذلك أن العاقل يستفيد من أخطاء من سبقه فيتجنبها، ولأن العمر قصير قد لا يتسع لتكوين المعرفة الكلية التي تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة فقد أنزل الله الكتب وأنزل الرسل مبشرين ومنذرين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فمن أطاعهم رشد ومن عصاهم هلك.

وخيرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو سيد ولو آدم نعم القدوة والأسوة علم الناس الكتاب والحكمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وفتح الله به آذاننا صما وعيوننا عميا

وقلوبا غلفاء، وزكى النفوس وأنار العقول بنور الوحي،  
 فالعقل البشري لا يبصر الحق بدون الوحي كما أن  
 العين لا تبصر بدون ضوء الشمس.  
 يقول ابن القيم رحمه الله: (لا يستقل العقل دون هداية  
 بالوحي تأصيلا ولا تفصيلا كالطرف دون النور ليس  
 بمدرك حتى يراه بكرة وأصيلا).

نور النبوة مثل نور العين      للشمس البصيرة فاتخذه دليلا  
 طرق الهدى مسدودة إلا على      من أم هذا الوحي والتنزيل  
 يا طالبا درك الهدى بالعقل      دون النقل لن تلق لذاك دليلا

فمن أراد حسنة الدنيا والآخرة فعليه الاقتداء بمحمد  
 صلى الله عليه وسلم.  
 يقول ابن حزم رحمه الله: (من أراد خير الآخرة وحكمة  
 الدنيا، وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها  
 واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتدي بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكن).

فقد كفانا رسولنا صلى الله عليه وسلم مؤونة البحث والتجارب في كثير من المسائل والمهمات رحمة بنا ولعلمه بضعفنا وجهلنا.

عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسد أنه قال لابن عمر: (إننا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن، فقال له عبد الله: إن الله بعث إلينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئاً فإننا نفعل كما رأينا محمد صلى الله عليه وسلم يفعل). رواه ابن ماجة<sup>٦</sup>.

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل الأنبياء والمرسلين بشر- ليأنس بهم الناس ويألفوهم، لأن كل جنس يألف بجنسه، وبذلك تعم الفائدة وتتحقق المصلحة من هداية الناس وتحسن أحوالهم قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

قال القرطبي: (فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفر منه قرابته، ولا ما أنسوا به، ولدخلهم من الرعب من

كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم عن  
سؤاله فلا تعم المصلحة).<sup>٧</sup>

ومن رحمته سبحانه أيضاً أن جعل في كل أمة أناس  
صالحين وعلماء مبرزين يقودون الناس ويهدوهم سبل  
الرشاد، لأن النفس قد جبلت على تقليد العظماء  
والشرفاء، فلا تستقيم العامة إلا باستقامة قادتها  
وكبرائها.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فالشرفاء والعلماء والقادة والأمراء هم ملح البلد، فمن  
يصلح الملح إذا الملح فسد؟

### المبحث الخامس:

#### البيئة المحفزة:

الإنسان مدني بطبعه كما يقول ابن خلدون رحمه الله، أي  
مفتقر إلى الصحبة ضرورة ولا تتم حياته إلا مع بني  
جنسه، وقال الإمام المناوي في شرحه لحديث: «المؤمن  
للمؤمن كالبنيان».

٧ تفسير القرطبي / تفسير سورة الانعام الآية ٩.

والمراد بعض المؤمنين لبعض كالحائظ لا يتقوى في أمر دينه وديناه إلا بمعونة أخيه، كما أن بعض البنيان يقوى ببعضه يشد بعضه بعضاً، (بيان لوجه التشبيه).

وزاد وفيه تفضيل الاجتماع على الانفراد، ومدح الاتصال على الانفصال، فإن البنيان إذا تفاعل بطل وإذا اتصل ثبت الانتفاع به بكل ما يراد منه. أهـ

فاليئة الاجتماعية لها انعكاس كبير على شخصية الفرد واختياراته، فالناس كأسراب الطيور يتبع بعضها بعضاً، فكلما كان المجتمع محباً للعلم، معظماً للأخلاق الشريفة والخصال الحميدة كلما كان نصيبه من العباقرة وأهل النبوغ أوفر، والتاريخ حافل بالشواهد والأمثلة.

من أجل ذلك حث صاحب الشريعة على ملازمة أهل الصلاح وأصحاب الفضيلة، ومجانبة أهل الشرور والفساد، فالمرء على دين خليله كما جاء على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم، وقالت العرب الصاحب صاحب.

(وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم قصة الرجل الذي قتل مئة نفس فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ فقال له نعم ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون



الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء). الحديث رواه مسلم<sup>٨</sup>.

فكان أول ما نصحه به أن يفارق البيئة التي كان يقيم فيها، لأنها أرض شر وفساد لا يؤمر بها بمعروف ولا ينهى عن منكر وأمره بالتماس بيئة صالحة تعينه على الخير والاستقامة، فهذا أعظم الأسباب التي يسلكها المرء نحو تغيير منهج حياته قال الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَآ يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

فلمسلم مأمور بالتماس الطيب في كل شيء، في المأكل والمشرب والملبس والمسكن وفي صحبته وفي حله وترحاله، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». رواه أحمد وأبو داود<sup>٩</sup>.

\* قال المناوي رحمه الله: (فصحة الأخيار تورث الفلاح والنجاح، ومجرد النظر إلى أهل الصلاح يورث صلاحاً، والنظر إلى الصور يورث أخلاقاً وعقائد مناسبة لخلق المنظور وعقيدته، كدوام النظر إلى المحزون يحزن وإلى

٨ صحيح مسلم / ٢٧٦٦ \* سنن أبي داود ٤٨٣٢ / سنن الترمذ ٢٣.

٩ تيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي.

المسرور يسر، والجمل الشرود يصير ذلولاً بمقارنة الذلول،  
فالمقارنة لها تأثير في الحيوان بل في النبات وفي الجماد، ففي  
النفوس أولى وإنما سمي الإنسان إنساناً لأنه يأنس بما يراه  
من خير وشر). أه



## الفصل الرابع:

### صفات العبقرية المسلمة:

#### المبحث الأول:

#### الاستعداد الذهني:

**الاستعداد الذهني:** هو مدى قابلية العقل للتعامل مع اختبارات الحياة وعوارضها، فكلما كان الاستعداد أحسن وأمتن كلما كان تعامل الشخصية العبقرية أفصل وأنجح، ولأن التجربة جزء مهم في تنمية الشخصية العبقرية كان لازماً على الفرد المسلم أن يعتني بهذا الجانب عناية فائقة، لأن إهماله قد يؤدي إلى الانتكاسة والنكول عن الهدف المنشود.

أ- **مثال الاستعداد الذهني:** الفترة المكية والتهيؤ لحمل الأمانة النبوية.

(عن عائشة رضي الله عنها أن أول ما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في

غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما أنا بقارئ). الحديث<sup>١٠</sup> في هذا الحديث بيان لبداية إعداد النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بأعباء الرسالة، فكأن أول ما بدئ به الرؤيا الصادقة أي التي ليس فيها ضغث، ليكون تمهيدا وتوطأت لليقظة.

قال القاضي عياض: (إنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها، فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا).

ثم حبب إليه صلى الله عليه وسلم الخلوة فاتخذ غار حراء مكانا للخلوة والتفكير لأن الخلوة أروح للقلب وأصفى للذهن وأرحم للسجية، فلا تقتحمها ضوضاء الرعاع ولا تكدرها أنفاس الخلائق.

نقل ابن حجر عن ابن أبي جمرة قوله: (الحكمة في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالتخلي في غار حراء أن

١٠ صحيح مسلم / ١٦٠ - صحيح البخاري ٣.

المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات).

الخلوة والتعبد والنظر إلى البيت.

وإذا أراد الله أمراً هياً له أسبابه فكانت هذه المقدمات بمثابة الإعداد النفسي والمعنوي للنبي صلى الله عليه وسلم بحمل الأمانة العظيمة.

### المبحث الثاني:

### التوازن الذاتي:

من المعلوم أن ذات البشرية مركبة من جسد وروح، ولكل مكون طبيعته وحاجته، والسعيد من أوجد التوازن بين هذين المكونين، فأصلاح الجسد يكون بصيانتته من الأمراض والآفات والعناية بغذائه الصحي، والانشغال بتقويمه ليصبر على تكاليف الدنيا والآخرة.

ألم تر أن البدن مطية، والمطية إذا أهملها ربها لم تبلغه المنزل، وليس المقصود بالعناية بها الإكثار من الشهوات، فإن ذلك مذموم أيضاً، وإنما المقصود هو إعطاؤها البلغة الصالحة التي بها يصف والفكر ويصح العقل ويقوى الذهن.

وقد جعل الشارع المعوقات عن صفاء الذهن من موانع القضاء، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان».

وقاس العلماء على ذلك الجوع فإنه في نفس المعنى. وأما الروح فهي الجزء الأهم فهو الجانب الأقوى في الذات البشرية التي تدعم الجسد عندما يضعف عن العمل أو تصيبه بعض الآفات، وإنما يصلح هذا الجانب بالتزكية والتقوى وكما أن للجسد مطامع وشهوات، فإن للنفس حظاً من ذلك أيضاً فيكون إصلاحها بقهرها على مجانبة الهوى، فإن في ذلك لذة تعدل لذة الطاعة أو أكثر، ولذلك كان جهادها من أعظم مواطن الجهاد، والرباط على أسوار الطاعة من أفضل مواطن الرباط، فإذا علمت هذا تبين لك أن العبد لا يبلغ كمال ذاته إلا إذا نجح في إيجاد هذا التوازن الفريد الذي لا يتم إلا لأحد الناس.

## المبحث الثالث:

### الحلم والأناة:

هذان صفتان محوريتان في تكوين الشخصية العبقرية، فمن شأن القدوة أن يكون حليماً متأنياً قادراً على استيعاب أتباعه ومخالفه في آن واحد.

قال الله تعالى واصفا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السعدي رحمه الله: (الأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع الذم والعقاب الخاص).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمنذر ابن الأشج العصري: (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة). رواه مسلم<sup>١٢</sup>

**والحلم بالكسر:** الأناة والعقل، ونقيضه السفه والجهل.  
**والأناة:** هي ترك العجلة، قال الراغب: الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام.  
 وإذا نظرنا عبر التاريخ بصفات العباقره لوجدنا أن هاتين الخصلتين لا يكاد يخلو منهما عبقرى.  
 فليت شعري كيف يكون المرء قويا قادرا على التغلب على الصعوبات والمحن إذا لم يكن قادرا على ملك جوارحه وكبح جماح غضبه، ولأن العبقري شخص متفرد مفارق لعادات قومه ومنظوم عيشهم، فلربما وجد منهم المخالفة والأذية.

فلا بد أن يكون صبورا حليما رفيقا لينا، وقد مدح الله تعالى بعض رسله بالحلم والأناة فقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

١٢ رواه مسلم في صحيح مسلم \_ ١٧.



وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وقال عن إسحاق عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١].

فقد صبروا على أذية قومهم المشركين، وكذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم، فلم يكن يزيده الجهل عليه إلا حلما.

ولأن الله أرشده إلى طريقة التعامل مع خصومه ومخالفيه، وذلك بالصبر الجميل، والصفح الكريم فقال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَبِئْسَ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

فبين له أن هذه هي أقرب الوسائل لكسب عدوه، وأخبره صلى الله عليه وسلم<sup>١٣</sup> في حلمه وكرمه مع أعدائه كثيرة مستفيضة لا يتسع المقام لذكرها، وإنما أردنا الإشارة إليها فقط.

## المبحث الرابع:

### المرونة الفكرية:

تعد المرونة الفكرية أو العقلية أساس عملية الابتكار، لأنها تعني قدرة الفرد على توليد عديد الأفكار الجديدة، وقدرته على التعامل مع المتغيرات والحوادث، وهو سر تفوق الأشخاص الاستثنائيين، لأنها المولد الفعلي للأفكار والحلول والبدائل، وهي الطريقة الأفضل لمواجهة الصعوبات واختراق الحواجز والمعوقات، فالشخص المرن كالماء لا يمكن إيقاف تدفقه وحبسه عن الجريان.

والشخص المرن أيضا هو الذي يطرق جميع الأبواب ويلتمس جميع السبل ولا يسمح لفكرة واحدة أن تسيطر على عقله، يظل سجينها طول حياته.

المرونة الفكرية التي تخلق الفكرة الحية، ونعني بالفكرة الحية: الفكرة القادرة على إصلاح الفرد والمجتمع، والتي تنسجم مع الزمان والمكان، والتي تضمن سعادة الفرد في الدنيا والآخرة، ولذلك أمر الشرع بالتفكير والتدبر وذم الجمود والتبلد، فالشرع يأبى ذلك والطبيعة تأبى ذلك.

### مثال المرونة الفكرية في الإسلام:

اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحق بالرفيق الأعلى وانقطع الوحي وانتشر الإسلام في ربوع المعمورة واتسعت رقعة الديار الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواج عربهم وعجمهم ظهر من النوازل والأقضية ما لم يكن موجودا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولأنزل به وحي مخصوص يبين حكمه، فكان لزاما على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستنبطوا لتلك المسائل الأحكام التي تناسبها، صيانة للدين وحفاظا على مصالح الناس.

ومن أمثلة ذلك: جمعهم للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه لما كثر الموت في حفظة القرآن.

وألغى عمر رضي الله عنه سهم المؤلفلة قلوبهم من مصارف الزكاة، فقد فهم أن ذلك الحكم كان خاصا في زمن استضعاف المسلمين، وأقره أبو بكر رضي الله عنه على ذلك.

ومن ذلك أيضا تحريق عثمان للمصاحف التي تخالف لسان قريش، وجمعه للأمة على مصحف واحد، وذلك تجنباً للفتنة التي قد تحصل بسبب اختلاف القراءات. وهذه النماذج التي كانت تتحلّى بمرونة فكرية عالية وفهم دقيق هي التي شيدت صرح الإسلام وقادت البشرية قروناً ودهوراً وأصلح الله بها أحوال الناس بعد أن اجتالهم الشياطين عن دينهم.

### المبحث الخامس:

#### معرفة الأولوية:

لابد على من عزم أن يكون فريداً، أن يرتب أولوياته، فهي أنجح طريقة تصله إلى هدفه وتوفر عليه طول العناء وإضاعة الوقت فما هي هاته الأولويات؟

#### أولاً:

معرفة الذات: لابد للشخص أن يدرك دواخل نفسه، وأن يتعرف إلى ميولاتها، فإن ذلك يعينه على تحديد مجال عبقريته، كما أن يساعده على معرفة قدراته ونقاط ضعفه والتي لا بد له من إصلاحها وتقويتها، وتمكنه

معرفة لنفسه أيضا من السيطرة عليها وتطويعها كيفما شاء.

**ثانيا:**

• **الحفاظ على الوقت:**

الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، والوقت أفضل ما عني العقلاء بالحفاظ عليه، فالموفق من عرف كيف يستغله في العمل والتعلم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

\* والنفس إذا لم يشغلها العبد بما ينفع شغلته بما يضره<sup>٤</sup>.

**ثالثا:**

**تقديم الأهم على المهم:**

وينبغي أيضا تقديم العاجل على الآجل، وتقديم الضروري على ما سواه من الحاجيات أو الكماليات. فهذه أعظم ثمرة وأرجى لتحقيق المراد.

## المبحث السادس:

### الدقة في عرض المواضيع:

وهذا أيضا سمة من سمات العبقري أنه يتحلى بقدرة عالية في طرح المواضيع وعرضها بأسلوب سهل ويسير ينم عن فهم عميق وتحليل دقيق. وهذا ليس بالأمر السهل بل هو من أصعب الأمور، ويحتاج إلى جهد كبير، إذ لا يتمكن من إيجاز المعرفة إلا من يمتلكها، فالاختصار والتبسيط والإيضاح مع المحافظة على عمق الموضوع هي زبدة عمق المرء وعنوان تفوقه وتميزه.



## الفصل الخامس:

### تركيب الشخصية العبقرية:

#### المبحث الأول: علاقته مع الله:

الله سبحانه وتعالى أقرب إلى عبده من حبل الوريد وهو مع عباده أينما كانوا، ويعلم سرهم ونجواهم، فالعاقل من استشعر هذه المعية وأنس بهذا القرب وحضرته مراقبة مولاه فسارع إلى طاعته، وكلما ازداد العبد قريبا من الله ازداد رفعة وعلا قدره بين الأنام، وذلك لأنه كلما أنس بالله استوحش من الخلق، وكلما رغب فيما عند الله ازداد زهدا فيما عند الناس، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله لرجل سأله عن عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس فقال له: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»<sup>١٥</sup>.

فليس أمر أحب إلى الخلق من رجل لا ينافسهم على دنياهم وذلك لما جبلت عليه النفوس من الأثرة والتنافس والحسد، فإذا تعفف العبد عما في أيدي الناس عظم في أعينهم لركونهم إلى جانبه وأمنهم من حقه وحسده، فيا

١٥ النووي في الأربعين النووية.

لله ما أعظم التعلق بأمره وإيثار رضاه عن من سواه فإن فيه سعادة العبد وسؤدده في الدنيا والآخرة، ومن جعل همه إرضاء الله أنار الله قلبه وفتح بصيرته وذل له سبيل الرشاد ووقاه شر نفسه وبلغه المقامات الشريفة والرتب المنيفة وكان من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما قوله: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»<sup>١٦</sup>.

سمع ابن عباس هذه الكلمات وهو بعد لا يزال غلاما حدث السن، فرسخن في قلبه فوعاهن وعمل بهن، وكان عالم الأمة وحبها وعبقريا من عباقرتها. قال ابن الجوزي رحمه الله: (وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، معلوم أن ما نرى السماء مرفوعة، والأرض موضوعة وشهد الأبنية المحكمة خصوصا في الجسد نفسه، علم أنه لا بد للمصنعة من صانع وللمبني من بان).



## المبحث الثاني:

### علاقته مع نفسه:

النفس البشرية هي عبارة عن كتلة من المشاعر والأفكار والغرائز، ومن بين هاته العناصر الثلاثة علاقة دقيقة ومتشعبة، ولذلك كان لزاما على الفرد أن يحسن سياستها وتربيتها ليجعل لحياته معنى ساميا، وهدفا عاليا، فالعقل من دنى نفسه وألجمها بلجام التقوى، وأحاطها بسور الورع.

أ- السعادة أهم مطالب النفس:

من تأمل أحوال نفسه ونزعاتها وجدها ميالة إلى الدعة والراحة، باحثة عن أسباب اللذة والمتعة، والأمر جبلي قد فطرت عليه، وذلك لما اقتضته حكمة الله تعالى الباهرة، حيث استودع العبد هذه النفس بما فيها من عيوب ونقائص وأمره باستصلاحها وترقيتها، كما قال جلا وعلا:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وجعل سبحانه سعادته فيما تكره وتأبى، وراحتها بعد أن  
تتعب وتشقى، وهو تمام عدله وحكمته سبحانه.  
فما شرع الله حكماً إلا وكان فيه سعادة للعبد ورضا الله.  
فبين الإسلام الحكمة من خلق البشر، وعلّة وجودهم على  
البيسطة، وبين لهم أطوار خلقهم ومآلهم، وعلمهم طرق  
عيشهم وكسبهم.

وهذا يمنح النفس الشعور بالأمان وخروجها من دائرة  
الحريرة والعبثية، كما هو حال الملحدّين واللادينيّين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا  
بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وفي جانب آخر  
فإن أحكام الإسلام تقوي الثقة بالنفس، وتبعثها على  
التفاؤل وترك التشاؤم والقنوط.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فالطمأنينة والرضا  
بالقضاء والقدر يمنحان الأمن النفسي والسعادة للنفس  
البشرية<sup>١٧</sup>.

### المبحث الثالث:

### علاقته بالكون:

خلق الله الخلق وكرمهم وحملهم في البر والبحر، وجعلهم شعوبا وقبائل، وسخر لهم ما في السماء والأرض، ووهبهم نعمة العقل، أمرهم بعمارة الأرض واستصلاحها، فيكونوا بذلك أهلا للاستخلاف الذي شرفهم به.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:

١٥]، في قوله ذلولا دعوة صريحة إلى استغلال هذه النعم فيما ينفع العباد والبلاد، فإن الذلول من الشيء هو السهم المنقاد المطاوع.

وبذلك يكون قد اجتمع للإنسان عامل النجاح، قوة العقل الباهرة وانقياد الطبيعة، وهذا موضع تتفجر فيه العبقرية.

فكلما كانت قدرة الإنسان على النظر والاعتبار، كلما زادت قدرته على فهم نواميس الكون واستقراء قوانينه، وبذلك يمتلك أسباب السيادة والسيطرة والقدرة على البناء والتعمير والإنشاء والتطوير.

فتقع عليه حكمة الله بالابتلاء والاختبار، لما استودعه الله من النعم الجمّة، وامتن عليه بالآلاء العظيمة قال الله تعالى: «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم».

إذن فالذكاء والنبوغ هما طريق الإنسان لفهم أسرار الكون وفك ألغازه، فالطبيعة مرتع العبقرية ومستودع اختراعاته. فهي مخلوقة من أجله، ولأجله سخرت قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل:

[١٤].

وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

والتسخير تذليل الشيء وجعله منقادا للآخر وسوقه إلى الغرض المختص به قهرا.

فالكون معركة الإنجاز الحضاري، وهذا الذي يسميه القرآن تدافعا.

يقول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ  
فَيَمْكُتْ فِي الْأَرْضِ ﴿ [الرعد: ١٧].

ونتيجة هذه المعركة هي عمارة الأرض ونفع الناس، وقمع  
الشر والفساد.

ويكون الإنسان أهلاً للأمانة التي يحملها، وأشفقت  
السموات والأرض والجبال منها.

حتى إن العجماوات لتستغفر له وتدعو له، كما ثبت ذلك  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله  
وملائكته وأهل سماواته الأراضيين حتى النملة في  
جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»<sup>١٨</sup>.

### المبحث الرابع:

#### علاقته مع المجتمع:

يلزم العبقرية تأمل أحوال الناس والاعتبار بتجاربهم،  
ولينظر ما يصلحهم فليبادر إليه، ولينظر ما يفسدهم  
فليجتهد في درئه وقمعه، وليكن لهم بمنزلة الطبيب  
الذي يداوي أسقامهم، والراقي الذي يروض شيطانهم، ولا

يكثرون من مخالطتهم، فإن العزلة حمية، ومفسدة المخالطة عظيمة.

ولكن ليجعلهم بمنزلة النار، يتدفأ بها ولا تحرقه، فإن كثرة المجالسة تشتت جماع القلب وتذهله عن المقصود، وتقطع عنه حبال التفكير وأسباب التدبير، وليصن سمعه وبصره فإنها نوافذ القلب وبها يتغذى.

فالخلة دواء، والمخالطة غفلة، لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهديان من قيل وقال فأقلل من لقاء الناس إلا لكسب معيشة أو لصلاح حال وإنما عنيينا بالعزلة هنا اعتزال مجالسة اللهو والباطل، التي تضيع الأوقات وتهدر الطاقات، وتفسد عمل الدنيا والآخرة، وأما مجالس الخير ومواضع الرشاد والهدى فنعمما هي، فإن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.

فالمخالطة تهذب الحواس، وتنمي العقل، بينا أن الخلطة تحتاج إلى جلد وصبر، حتى يكون صاحب الشخصية العبقرية مؤثراً لا متأثراً، ومغيراً لا متغيراً، فتكون الخلطة نعمة في حقه لا نقمة، فتزيد مواهبه وتضاعف قدراته على الابتكار والتجديد، وإن كان ولا بد منها فليحرص الإنسان

على مخالطة المماثل، أو من كان أحسن منه ينتفع بعلمه أو يستزيد من أدبه وحلمه، فإن كانت هذه حاله فليحرص على صحبته وملازمته، فإنه نعم المعين، وأما العامة فلا يناله منهم إلا البلادة والحمق، فليكن منهم على حذر وليستعن بشيء من المصانعة والمدارة، فإنه لا يسلم من شرهم على كل حال.

### المبحث الخامس:

### علاقته مع التاريخ:

(التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الأيام والدول، ولكن في باطنه تحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأساسها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها خليق).  
المقدمة لابن خلدون.

التاريخ حجة في نفسه، ولذلك نجد أن القرآن قد أحال عليه في عديد المواضع قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢].

فالتاريخ ميزان الحاضر، وصاحب النبوغ والذكاء لا يستغني عنه، إذ أنه يحتوي على تجارب السابقين وإنجازات المؤثرين في الحياة البشرية.

ففيه زبدة المفكرين وحسر المنهزمين والمنكسرين، وفيه نشوة المنتصرين والغالبين، وبه تعرف أسباب الفلاح والنجاح وتترك به أسباب الانتكاسة وال فشل.

فالتاريخ مادة إلهام العابرة والمفكرين، فإن إنجازاتهم ما هي إلا امتداد للجهود لجهود من سبقهم من أسلافهم المفكرين والعظماء.

فالتاريخ يختزل الطريق على المتفوقين، ويكسبهم الزمن، ويكفيهم مشقة البحث، ويقدم لهم الدروس والعبر منقحة مهذبة جاهزة.

التاريخ أيضا يشكل عاملا محفزا للإنسان للعمل والبذل، والمثابرة ودافعا قويا للنجاح، فهو يخلد أمجاد السابقين، ويروي تفاصيل نجاحهم.



فالوقوع دليل الإمكان، فالنظر في طياته يقطع دابر اليأس  
وفتور العزائم، ويرفع الهمم ويزيد في طموح المبدعين.  
ومن أراد المجد التليد والقمم العالية فعليه أن يجعل  
التاريخ أساساً يقوم عليه، وحصناً يأوي إليه إذا خذلته  
معطيات الواقع وتقلبات الزمان.



## الفصل السادس:

### منابع العبقرية:

#### المبحث الأول: التسبيح:

أول خطوة يبذلها الإنسان في تطوير ذاته هو إقراره بضعفه وعجزه، وتبرئه من حوله وقوته قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (خص هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل لأحد علم إلا من هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها؛ وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً، إلى أن يصل كل واحد فيهم إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكر الله باستعمال ما أعطاه من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة وقابل النعمة بأقبح المقابلة). أه

ثانيا: عليه أن يفهم أنه مهما اجتهد في تحصيل أسباب العلم ونجح في إحكام مبادئه ونيل مطالبه فإنه إذا حرم التوفيق فإنه لا يبلغ مراتب السادة العلماء والعباقرة العظماء، فكم من عقل جبار وفكر سيال ضاعت موهبته واندرست طاقته بسبب الخذلان والحرمان، وصرف عن طريق النجاح بأنواع الصوارف فحرم التوفيق والهداية.

فإذا علم العبد أن الأسرار والألغاز كثيرة غزيرة، وأن عقله قاصر وجوارحه ضعيفة، اتجه إلى من أحاط بكل شيء علما، وآتى كل إنسان حكما وفهما، فسأله المدد والفتح من عنده، مراتب النجاح أن تحسن الظن بالله وتسيئه بنفسك.

وأحسن ما يبدأ به العبد هو التسبيح فهو دندنة جميع الخلائق قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالتسبيح أول مراتب الإقرار بربوبية الخالق سبحانه، فهو تنزيه الخالق من العيوب والنقائص، وهو ثمرة التدبر من خلق الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فبين عز وجل أنه لا يدرك حكمته إلا أولو الألباب، والتسبيح فيه راحة القلب وانشراح الصدر وتعظيم الرب جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨].

فشمة التسبيح تعظيم الخالق سبحانه، وتعليق القلب به، وهذا يمنح النفس الإحساس بالقوة والأمان.

### المبحث الثاني:

#### الخلوة:

الخلوة واعتزال الناس تقوي النفس وتبصرها بعيوبها، ونقائصها وتصلح القلب، وتجنبه تكاليف الرياء والتصنع، وتورث صاحبها العزيمة ورباطة الجأش، فلا يعول إلا على نفسه، ولا يعتمد إلا على قدراته ومواهبه،

فتعلو همته وتسمو نفسه، إنما رجل الدنيا وواحدتها من لا  
بعول في الدنيا على رجل، كما أن الخلوة تعين صاحبها على  
اغتنام وقته وإعمال فراغه.

فلا يغبن صحته وعمره، وتقيه صحبة البطالين والكسالى،  
وقرناء السوء وأصحاب الدنيا.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: (فيا للعزلة ما ألذها، سلمت  
من كدر غيبية، وآفات تصنع وأحوال مداجاة، وتضييع  
الوقت، ثم خلا فيها القلب بالفكر، لأنه مستلذ عنه  
بالمخالطة فدبر أمر دنياه وأخرته، فمثله كمثل الحمية  
يخلو فيها المعى بالأخلاق فيذيها). اه صيد الخاطر ٢٧٨

كما أنها ملاذ الصالحين عند فساد الناس، وقد أخبر بها  
ربنا عند أصحاب الكهف فقال: ﴿وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُومًا وَمَا  
يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ  
رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

فكان الكهف ملاذهم ومرفقهم، والخلوة موطن العاقل  
ومحل انبساطه، وسبيله للتفكير والاعتبار وفهم المعاني  
والأسرار والنظر في حكمة الأقدار.

### المبحث الثالث:

#### تدبر القرآن وفهم معانيه:

القرآن كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا تنقطع أسراره قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فكلما أقبل عليه العبد بقلب خال، وأدمن النظر فيه فتح عليه من فهم المعاني والأسرار واقتناص الفوائد والأخبار ما يشفي صدره، ويغذي قلبه وروحه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تهذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة). رواه ابن أبي شيبة

قال السعدي: (تدبر القرآن هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك).

وقال ابن القيم: (هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله). نضرة النعيم ٩٠٩

وقد ذم الله عز وجل من يكتفي بتلاوة حروف القرآن دون فهم لمعانيه.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

قال الشوكاني: (وقيل الأمانى التلاوة، أي لا علم لهم إلا بمجرد التفهم والتدبر). فتح القدير ١٠٤ المجلد الأول. وإن كانت إقامة حروف القرآن في نفسها ليست مذمومة، وما ذاك إلا لبركة القرآن، فإن قارئه مهما كانت درجة علمه وفهمه فإنه لا يعدم أن يستفيد منه، فإن لغة القرآن تروض العقل وتكسبه مرونة التفكير، فهي غنية بالقوانين والقواعد التي تنمي الذكاء وتصور النبوغ، ولذلك اختارها الله عز وجل لإنزال رسالته الخاتمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، فهي أفصح اللغات وأوضحها، وأبينها وأدقها، وأحراها في إبلاغ المراد، ولذلك كانت بمثابة الآلة التي تعين العبد على إدراك الحفيايات والمخدرات وكشف الغوامض والمعجزات، كما أن القرآن قد حوى مبادئ العلوم وأصولها، من طب وفيزياء وحضارة وعمران، وكثير من النظريات والحقائق العلمية التي أثبتتها العلم الحديث كانت أصولها موجودة في القرآن، بل إن بعضها قد نص عليه نساء، ككروية الأرض، ومراحل تكون الجنين،

والانفجار العظيم، وغيرها مما أذهل العلماء وجعل كثير منهم يذعنون لصدق القرآن ويدخلون في الإسلام طوعا. وهذا من حكمة الله تعالى الذي يعلم ضعف البشر وقلة علمهم وعجزهم، فمنّ عليهم بأن بسط لهم عديد الحقائق العلمية، والقوانين الكونية ليكفيهم مؤونة البحث، ومشقة التجربة.

قال ابن حجر رحمه الله: (ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون دليلا على صحة دعواه، وهذا الزمان هو أنسب زمان لهذا الإعجاز الجديد حيث قال الله في القرآن: ﴿سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ [الأنبياء: ٣٧].

### المبحث الرابع:

#### فقه السيرة النبوية:

يقول أبو حنيفة رحمه الله: (النظر في سير القوم أحب إلي من كثير من الفقه، فهي آداب القوم وأخلاقهم)، فسيرة الرجل هي ترجمان عقله، وثمره علمه، فكيف إذا كانت هذه السيرة هي سيرة سيد الخلق وإمام الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تمثل نبراس هداة للمسلمين



وغيرهم، وقد أقر بذلك مفكرون وفلاسفة غربيون منصفون يقول أننولت تومبي: الإنكليزي وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين: (لقد أخذت سيرة الرسول العربي بألباب أتباعه، وسمت شخصياته لديهم إلى أعلى)، فالعمل برسالته إيماننا جعلهم يتقبلون ما أوحى به إليه، وأفعاله كما سجلتها السنة مصدرا للقانون لا يقتصر على تنظيم حياة للجماعة الإسلامية وحدها بل يرتب ذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين، الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددا.

ويقول جوتا الشاعر الألماني المشهور: (وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف لن يتقدم عليه أحد، وقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدت النبي العربي).

والحق ما شهدت به الأعداء، فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وإمامهم، وسيرته مصدر إلهام وقوة. يقول ابن الجوزي رحمه الله: (رأيت الاشتغال بالفقه وسماع حديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن

يمزج بالرقائق والنظر في سيرة السلف الصالح، وأصلح سيرة هي سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم).  
يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: (فإن سيرته ينبوع الصافي لطالب الفقه، والدليل الهادي لباغي الصلاح، والمثل الأعلى للأسلوب البليغ، والدستور الشامل لكل شعب الخير).

فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم نموذج لتحقيق النهضة والرقى، سيرة تعلم أنه لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس، سيرة تعلم الأخذ بالأسباب وإحكامها وضبط الخطط وإتقانها، وتعلم أن النصر مع الصبر يعقب التمحيص والابتلاء، وسيرة تعلم علو الهمة ورفعتها، وسمو النفس وبذلها وعطاءها، وتعلم أن الذين يزرعون أقل بكثير من الذين يأكلون، غير أن الأولين هم أصحاب السبق والفضل، ولكن التاريخ خلدتهم وخلد مآثرهم، فكان عمرهم أطول من أعمار من أتى من بعدهم. فسيرته صلى الله عليه وسلم مرجع لكل عبقرى لا يستغني عن النظر فيها، وكل من أراد أن تكون له بصمة في هذه الدنيا فعليها أن ينهل من معينها، ويتعلم في مدرستها،

وهذا كان دأب سلفنا الصالح، فكانوا يتواصون بتعلم السيرة.

يقول زين العابدين بن العلي بن الحسين رضي الله عنهم: (كنا نعلمُ مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن).

### المبحث الخامس:

#### قراءة في سير عظماء الإسلام:

إن كان النظر في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أهم بواعث النجاح والتفوق، فإن قراءة سير العظماء، والعباقرة الذين تركوا بصمتهم في تاريخ البشرية ليسوا أقل أهمية، بل قد تكونوا أشد تحفيزاً من سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلربما قال قائل إنه رسول مؤيد بالوحي، وأما من هم دونه فإنهم بشر- يجوز بحقهم الخطأ والصواب، وإنما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من النبوغ، والذكاء وحققوا ما حققوه من الإنجازات والنجاحات بفضل جهدهم، وبذلهم، فسيرهم تعد حجة على البطالين والكسالى، والتاريخ الإسلامي زاخر بكوكبة من العلماء رفعوا قدر البشرية وأسهموا في تطوير الحياة

الإنسانية، فحيثما وجهت وجهك، وقلبت بصرك، وجدت الفقهاء، والمحدثين، والأدباء، والمفكرين والأطباء والفلكيين، والعباقرة، والمجددين، ومتى قلبت صفحات التاريخ وجدتها تعج بهؤلاء، وكل من علت همته، وسمت نفسه إلى النجاح والإنجاز، فإنه لا يستغني عن النظر في تراجم من سبقه من العظماء، لما فيها من الدروس والعبر، وشحذ الهمم وإيقاد جذوة الأمل، فقد مهدوا بتجاربهم سبل النجاح، وأناروا الطريق لمن بعدهم، فأصبحوا معيارا للنجاح، ومرآة لمن أراد أن يكون شيئا مذكورا في هذه الحياة الدنيا.

يقول الدكتور سعد الكرياني في كتابه كيف أصبحوا عظماء: (بعيدا عن الحظ والمحظوظين فإن الدنيا لا تعرف صاحب إنجاز أنجزه، ولا صاحب نجاح حققه، إلا وكان ذلك الإنسان عاملا مثابرا جادا ذا عزيمة لا ينام ملأ جفنيه، ولا يضحك ملأ شذقيه، يريد أن يكون شيئا مذكورا، خطواته ثابتة لا ترى فيها عوجا أو تباطؤ يعرف حق المعرفة أن قطرات الماء المتتابعة حفرن أخدودا في الصخر الأصم). اهـ

فكانوا أئمة هدى شقوا الطريق لمن بعدهم، وذلوا الصعاب  
لأتباعهم فلا يشك عاقل أن متابعة سيرهم، والنظر في  
تراجمهم مما يرفع الهمة، ويسلي النفس، ويدفعها إلى الكد  
والاجتهاد ويزيل عنها درن الخمول والكسل، فإن الوقوع  
دليل الإمكان، والمتفوقون حجة على الفاشلين والبطالين.



## الفصل السابع:

### نشأت الأفكار العبقرية في الإسلام:

#### المبحث الأول:

##### الملاحظة:

سبق وأن تحدثنا عن أهمية التأمل والنظر في تكوين الملكة العبقرية؛ فالمشاهدة أجود طرق الإدراك؛ فالعين تبصر وتراقب وتلاحظ؛ والعقل يسبر ويستنتج؛ فهذه الجارحة لها دور محوري في نشأة الفكرة العبقرية؛ لأنها تلتقط أول أسبابها؛ وهي تلك اللحظة التي تجتمع فيها قوة الملاحظة مع حضور الذهن وانتباهه تجاه ظاهرة معينة؛ مثلما حدث لنيوتن عند سقوط التفاحة؛ فسقوط تفاحة يعتبر حدثا عاديا عند عامة الناس؛ إلا أنه لم يكن كذلك بالنسبة لإسحاق نيوتن الذي ظل يتساءل عن أسباب سقوط التفاحة عاموديا؛ وعدم تحركها يمينا أو يسارا؛ هذه القدرة على الانبهار والاستشكال هي حقيقة العبقرية ولبها؛ فإن العاقرة جن الإنس يبصرون ما لا يبصره الناس؛ ولئن كان ما حصل مع نيوتن أمرا اعتباطيا فإن الخبراء اليوم جعلوا هذا الأمر من أولويات البحث

العلمي؛ وأدخلوه في ضمن أسبابه؛ فصارت الملاحظة والمراقبة منها علميا لها أدوات وخطط مدروسة توصل إلى حل الإشكاليات؛ وفهم الظواهر العلمية بأسلوب دقيق.

### المبحث الثاني:

#### المقارنة:

تهدف الملاحظة إلى سبر عوامل معقدة ومتغيرة يجمعها قانون واحد؛ لا يتوصل إليه إلا بعد فحص واعتبار؛ ومما يعين على ذلك مقارنة المشاهد غير المعلوم بتصور معلوم وتحديد مقامه منه؛ وهذا تقريبا ما يعرف بالقياس في اصطلاح الشرع؛ وأصله التقدير؛ أي معرفة قدر أحد الأمرين بالآخر كقولنا: (قست الشوب بالذراع؛ وقست الأرض بالقصبة) فالتقدير نسبة بين الشيئين تقتضي المساواة بينهما؛ ولأجل ذلك عرفه الأصوليون بقولهم: (رد الفرع إلى الأصل بعلّة تجمعهما معا في الحكم).

قاله الجويني: وهذا عين ما يفعله الباحثون وعلماء الإحياء؛ فإنهم يقيسون المجهول على المعلوم؛ ومن ثم يعطونه حكمه؛ وهذا أصل متفق عليه بين جمهور العقلاء؛ وقد أقره الشرع، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ

الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ  
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ  
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ  
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ  
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿[الحشر: ٢].

والاعتبار من العبور؛ وهو المجاوزة وهو ذات معنى القياس  
 أي العبور من حكم الأصل إلى حكم الفرع  
 والقياس ينبوع الفقه وأصل الرأي الصحيح؛ وقال صلى  
 الله عليه وسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة؛ وقال رجل  
 يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال: أرأيت إن  
 وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في  
 حلال». رواه مسلم.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: (وفيه جواز القياس وهذا  
 مذهب العلماء) شرح الأربعين النووية ص ١٧٨ ٣.  
 وقال أبو بكر الجصاص: (لا خلاف بين الصدر الأول  
 والتابعين وأتباعهم؛ في إجازة الاجتهاد والقياس على  
 النظائر في أحكام الحوادث؛ وما نعلم أحدا نفاه وحظره من  
 أهل الأعصار المتقدمة؛ إلى أن نشأ قوم ذوو جهل بالفقه  
 وأصوله ولا معرفة لهم بطريقة السلف؛ ولا توقي للإقدام



على الجهالة؛ واتباع الأهواء البشاعة التي خالفوا فيها الصحابة ومن بعدهم من أخلافهم). أصول الجصاص / المجلد الثاني / ص ٢٠٩.٤

وهو كما قال رحمه الله: لا سبيل لمعرفة الجهولات التصورية إلى من هدايات الطريق؛ وهو من ثمرات العقل الذي به فضل الإنسان على سائر المخلوقات؛ ونال به شرف التكليف؛ والشواهد على ذلك لا تكاد تحصى.

ومن أشهرها قصة الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ سيبويه؛ وهو أحد الأئمة الأعلام في اللغة والأدب؛ وهو الذي وضع علم العروض وهو من براءات اختراعاته؛ ومنشأ ذلك أنه كان يسير في سوق الصفارين؛ فراعه صوت دققة مطارقهم على نغم مميز؛ ومنه طرأت بباله فكرة العروض التي يعتمد عليها الشعر العربي.

وهذه هي الملاحظة التي قدمنا الكلام عليها، فكان يذهب إلى بيته؛ ويتدلى إلى بئر ثم يصدر أصواتا مختلفة؛ ليستطيع تحديد النغم المناسب لكل قصيدة ثم عكف على قراءة أشعار العرب؛ ودرس الإيقاع؛ والنظم؛ ثم قام بترتيب هذه الأشعار حسب أنغامها.

وجمع كل مجموعة متشابهة ووضعها معا؛ وهذه هي المقارنة؛ وحمل النظر على النظر؛ وهي التي أسميناها قياسا. حتى تمكن من ضبط أوزان خمسة عشرة مجرا يقوم عليه النظم العربي؛ وتعد قصته مثالا تطبيقيا بارزا للقواعد النظرية التي سبق بيانها. فهل بعد هذا البيان من بيان.

### المبحث الثالث:

#### الإصغاء:

قال الأصمعي: (أول العلم الصمت؛ والثاني حسن الاستماع؛ والثالث جودة الحفظ؛ والرابع احتواء العلم؛ والخامس إذاعته ونشره). حلية الأولياء المجلد السادس ص ٣٦٢.

الإصغاء: مسلك لا يحيد المتعلم عنه؛ ولا يكون ذلك إلا بالتواضع وترك المراء والجدال؛ ومن لم يصغ سمعه حرم خيرا كثيرا؛ فهو أشد المسالك تأثيرا في القلب؛ فإن للكلمة إيقاعا في الأذن؛ ووقعا في القلب؛ لا يتأتى في مورد آخر؛ ولذلك قدمه الله عز وجل على سائر الجوارح ومنها البصر؛ فإن المعلومة فيه أشد سرعة وتدफقا فيه إلى القلب من

غيره قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، هذا التقديم مؤذن بأهمية المقدم؛ فهو الآية الأولى لتلقي المعلومات والمعارف؛ ومنه تلقي الوحي الرباني ووسيلة بلوغ الدعوة إلى سائر الأمم على وجهها الأكمل؛ ولئن السمع ترد إليه الأصوات من الجهات الستة بدون توجه؛ بخلاف البصر- فإنه يحتاج إلى توجه وإذا انضاف إلى ذلك جمع الهام والتركيز؛ صار ذلك أرجى لحصول الفائدة؛ وهذا الذي سماه أهل العلم الاستماع. ويقال فيه أيضا الإصغاء.

### المبحث الرابع:

#### الانطلاق من الجزء إلى الكل:

هنا استسمح القارئ الكريم لأمر به على بعض المقدمات المنطقية التي تعينه على فهم هذه المسألة؛ وهي أن الألفاظ المستعملة في الكلام العربي لا تخلو من حالتين؛ إما أن تكون مفردة أو مركبة.

فالمفرد: ما لا يدل جزؤه على جزء معناه؛ مثلاً سعيد.  
أي إن أجزاءه التي هي السين والعين والdal لا تدل على  
جزء معناه.

المركب: هو ما دل على جزؤه على جزء معناه؛ كسعيد  
يجري.

فكل من جزئي هذا التركيب يدل على معنى؛ فسعيد يدل  
على الشخص المعين.

ويجري: هذا فعل يدل على الحدث وهو الجري؛ وإدراك  
النسبة الحكيمة بين هذين الجزئين متوقف على معنى كل  
واحد منهما.

**فالأول:** يسمى تصديقا والثاني: يسمى تصورا.

والتصور مقدا على التصديق؛ لأن إدراك الجزء مقدم على  
إدراك الكل؛ وإدراك الجزئيات يثمر إدراك الكليات.

فالثاني مجموع الأول؛ والأول مندرج تحت الثاني.

وهذا متفق عليه بين العقلاء؛ وإهماله يورث خلافا في  
الإدراك وخطأ في النتائج والأحكام؛ وهي منهجية سهلة  
التناول واضحة الملامح.

وإن كان كثير من يعطلونها أو يسيئون استخدامها.

وأما الباحث العبقري؛ وطالب العلم فلا عذر فيهما أبداً؛  
إذا أراد الحصول على نتائج ممتازة ومبهرة.

### المبحث الخامس:

#### الاستنتاج:

الاستنتاج: هو عملية عبقرية استعرافية للبحث عن  
سبب أو تفسير علمي؛ اعتماداً على المشاهدة والملاحظة  
لتحصيل حقيقة علمية؛ واستخراج مفاهيم جديدة. وهذه  
مرحلة بالغة الأهمية في إنشاء الشخصية العبقرية فإنها  
تكسب الفرد مهارات عالية في كيفية استخلاص فكرة؛  
أو تصور علم من جزئيات أو شواهد معينة.  
فالتفكير التحليلي الاستنتاجي يعتبر عمود الشخصية  
العبقرية؛ وهو منهج تحرر للذهن من قيود الجمود والتقليد؛  
إذ أنه يؤسس إلى انتقال الذهن من القضايا المسلمة؛ إلى  
قضايا منطقية كانت أو رياضية.  
كما أنه ينمي مهارات التفكير النقدي والتحليل؛  
والتفسير؛ وفحص البدائل؛ والتخمين والنفوذ إلى مدارك  
الاستدلال والتحقيق.

فهو من هذه الزاوية مورد من موارد العبقرية بما يحتويه من سلسلة مركبة ومعقدة من النشاطات والعمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان أثناء تعرضه لمثير معين؛ وهو أيضا عملية تنشيط وتقوية للذاكرة البشرية؛ التي أثبت العلم الحديث أن لها قدرة جبارة على تخزين المعلومات؛ وإنما يتم ذلك على تمرينها وتخزين أكبر عدد ممكن من المعلومات فيها؛ فكلما تم الضغط عليها أكثر كلما زادت سعتها؛ وكلما زادت عملية الحفظ والتخزين؛ زادت قوة الفهم وجودته؛ إذ أن الدماغ البشرية لا يمكن لها أن تحفظ شيئا غير مفهوم.



## الفصل الثامن:

### مواطن العبقرية في الإسلام:

#### المبحث الأول: فهم السنن الكونية:

يقول الدكتور رشيد كهوس: (إن المفكر يتعامل مع الوحيين بالطريقة اللولبية تتقدم باستمرار نحو الأعلى، أو إلى الأمام فتجعل الوحي -قرآن وسنة- حيا في حياتنا).

ولا يكون ذلك إلا عبر التواطؤ بين نصوص الشرع والواقع؛ يحيط ذلك كله فهم دقيق للسنن الكونية؛ فإن السنن الشرعية لا تتقاطع مناظرة مع السنن الكونية، بل هي مكمل لها ومصلح.

فالنواميس الحاكمة في الطبيعة والعالم المادية، وفي نظام الكون، وتركيبته، وحركته ومجرياته هي خلق الله تبارك وتعالى، وملكه وتديره، فليس لأحد الخروج عنها، فهي خاضعة للفكر الكوني، وهذه السنن عنوان ربوبيته سبحانه وتعالى التي بها تولى تربية الخلق وإصلاحهم؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَرُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

قوله في الآفاق: ما أخبر الله تعالى به من آياته في السموات والأرضيين فذلك من رفع السماء وخلق الكواكب ودوران الفلك؛ وإضاءة الشمس والقمر؛ وما أشبه ذلك، وكذلك بسط الأرض ونصب الجبال؛ وتفجير الأنهار؛ وغرس الأنهار إلى ما لا يحصى). تفسير السمعاني المجلد الخامس ص ٦١.

وحق يبين لنا الله تعالى التوافق بين السنن الكونية والشرعية قص علينا سير الأنبياء والمرسلين؛ وبين لنا شرائعهم وطرائقهم؛ وسنة الله في نصر عباده المؤمنين من الأنبياء والمرسلين والصالحين؛ وتأييده لهم وتمكينه لهم؛ وبين لنا أيضا سنة الله تعالى في عقاب الأمم الكافرة وإهلاكها.

وهذا فيه اعتبار وتنبيه لأولي الألباب والنهي؛ قال تعالى: (فاقصص القصص لعلمهم ينتهون). الآية ٧٦ القصص.

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].



ولذلك فإن الناظر في الأوامر والنواهي، وفي الحاضر والإباحة الشرعية لا يكاد يجد تشريعا إلا وله حكمة بالغة وأثر عظيم على الطبيعة عامة؛ وعلى النفس البشرية خاصة؛ وهو ما يسمى في الاصطلاح المعاصر بالإعجاز العلمي.

مما دعا كثيرا من علماء الفلك والفيزياء؛ والطب؛ وغيرهم إلى إعلان إسلامهم، فإن القدر لا يغالب ومهما حاول الإنسان هزم الطبيعة وتقويض الفطرة فإنه يعود مذموما مدحورا.

### علماء اعتنقوا الإسلام بعد البحث العلمي:

عند التفكير في خلق الله تعالى يصل الإنسان إلى حقيقة أن لهذا الكون إلهًا؛ فالعلم يهدف إلى الوصول إلى حقيقة الأشياء لذلك كان العلماء أشد الناس خشية لله؛ لأنهم عرفوا الله بصفاته وقدراته؛ وعظيم مكانته؛ واستدلوا على وحدانيته بآياته الكونية الباهرة؛ مما حدى بكثير من العلماء غير المسلمين إلى اعتناق الإسلام.

١- **موريس بوكاي**: وهو طبيب جراح من أشهر أطباء فرنسا؛ كلف بإجراء اختبارات وفحوصات أثرية على مومياء فرعون؛ وخلص بحثه إلى أن هذه الجثة قد هلك

غرقاً؛ فتم تحنيطها بعد ذلك؛ فكان يتهياً لإعلان هذا الاكتشاف العظيم حتى نعي إليه أن المسلمين يتحدثون بهذا الكلام فقرر السفر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين؛ وتحدث معهم عن اكتشافه حتى تلى عليه أحدهم قول الله تعالى: (ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)، فصرخ بأعلى صوته لقد دخلت الإسلام؛ وآمنت بالقرآن.

## ٢- عبد الواحد يحي رينجينو:

وهو عالم وفيلسوف غربي درس الأديان عامة؛ واعتنق الإسلام؛ وقد أحدث إسلامه ضجة كبرى في أمريكا؛ ودخل كثيرون بسببه الإسلام؛ وألف كتباً كثيرة منها: (أزمة العالم الحديث؛ الشرق والغرب)؛ وانتشرت كتبه شرقاً وغرباً.

## ٣- روبرت كرين: (فاروق عبد الحق).

رئيس جمعية هارفارد بالقانون الدولي؛ ومستشار الرئيس الأمريكي نيكسون للشؤون الخارجية؛ ونائب مدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض سابقاً؛ اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠؛ ومن أقواله المشهورة الإسلام هو الحل

الوحيد الذي يحمل العدالة في مقاصد الشريعة؛ وفي الكليات والجزئيات؛ والضروريات، وغيرهم كثير من جميع المشارب والتخصصات؛ مما يدل على إعجاز الإسلام الذي يلامس جميع جوانب الحياة؛ من فكر؛ واقتصاد؛ وسياسة.

ولأن الوحي الإلهي هو أعظم طرق الإدراك وأصدقها؛ فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فليس بالتواتر الذي يحتاج إلى كثرة الطرق واستفاضتها؛ ولا بخبر الواحد المفيد الظن المحتاج إلى القرائن والمرجحات؛ إنما هو نور يقذفه الله في قلوب عباده المرسلين لا يسمعه الناس؛ ولا يدرك بالحواس؛ فيورث اليقين دونما تفكير أو نظر.

### المبحث الثاني:

#### دراسة المذاهب الأخرى نقدا موضوعيا:

إن إثبات حقيقة ما يتوقف بالدرجة الأولى على إثبات دليلها؛ ولكن هذا في غالب الأحيان قد لا يكون كافيا لوجود معارض قوي لذلك الدليل يضعف مدلوله؛ ومن هنا نشأت فكرة المناظرة والمجدل الذي يقتضي- بالرد على

المخالف وإضعاف مذهبه؛ فإن هذه طريقة من طرق الاستدلال.

فإن إضعاف حجة المخالف يستلزم تقوية ما يضادها، فإن الضد يظهر حسنه الضد؛ وبضدها تتميز الأشياء، ومن هنا تظهر لك حاجة المفكر الاسلامي إلى دراسة المذاهب المخالفة والاطلاع على الآراء الأخرى؛ فالمفكر المنغلق الجامد على مذهبه علمه لا ينقح؛ ولا يتطور عقله. فمعرفة الشر- معينة على معرفة الخير؛ كما أن معرفة الظلمة تبين لك قيمة النور.

وقد جاء عن حذيفة رضي الله عنه قوله: (كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير؛ وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني).

والمسلم مأمور باتباع الحق أينما كان وكيفما كان؛ والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أذَلَّةً وَكَذَلِكْ يَفْعَلُونَ﴾

[النمل: ٣٤]؛ فصدق الله قولها وهي امرأة كافرة.<sup>١٩</sup>

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة عندما نصحه الشيطان بقراءة آية الكرسي: «ألا إنه قد صدقك وهو كذوب».

وعليه فإن دراسة مذاهب المخالفين سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم؛ ليست مسألة من فضول العلم؛ بل هو أمر ضروري بترسيخ مبادئ العبقرية لدى الفرد المسلم.

وينبغي أن تكون هذه الدراسة نقدية بمعنى قائمة على الاستشكال والتساؤل والبحث والمقارنة. موضوعية: بمعنى تحتكم إلى القواعد والأصول المتبعة المتفق عليها بين العلماء؛ والعقلاء تجنبا للحيف والتعسف والهوى؛ فإن الانصاف عزيز؛ والنفس ميالة إلى الحسد والهوى بطبعها.

### المبحث الثالث: القياسات.

#### القياس المنطقي:

يعد القياس المنطقي أهم طرق الاستدلال والتعقيب؛ وركنا أصيلا في آداب الجدل والمناظرة؛ فهو الميزان الذي يمكن من خلاله معرفة صحة البراهين والأدلة والنظر

في حجج الخصم لإثباتها أو إبطالها؛ وقد أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿وَرَزُّوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]؛ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

يقول الغزالي: (أتظن أن الميزان المقرون بالكتاب؛ هو ميزان البرّ والشعير؛ والذهب والفضة؟ أو تعتقد أن الميزان المقابل وضعه يرفع السموات والأرض هو الطيار والقبطان؟ ما أبعد هذا عن الحساب وما أعظم هذا البهتان! فاتق الله ولا تشطط ولا تتعسف في التأويل؛ واعلم أن هذا الميزان معرفة الله تعالى؛ معرفة ملائكته؛ وكتبه؛ ورسله؛ وملكه؛ وملكوته). القسطاس المستقيم للغزالي ص ١٤

القياس المنطقي كما عرفه الجرجاني في التعريفات: (هو قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر؛ فقولنا: العالم متغير؛ وكل متغير حادث فإنه قول مركب من قضيتين؛ فإذا سلمتا لزمما عنهما لذاتهما العالم حادث).

وقد عرفه أرسطو بقوله: (هو الحوار الذي يفترض فيه أشياء محددة القضايا)؛ فإذا صحت هذه القضايا لزم عنها

قول آخر؛ فالقياس هو لب المنطق؛ وأصله وأفضل السبل  
 ملجؤها إلى الرد على المخالف؛ ومعرفة أصول الفكر  
 السليم للاستقراء الصحيح؛ وكشف المغالطات المنطقية؛  
 والحجج الواهية؛ ولا يغرنك ذم بعض الفقهاء لهذا العلم؛  
 فذامه أحد رجلين إما عالم ربانين حريص على اعقاد  
 الناس ودينهم؛ فنفر عنه سدا للذريعة أمام العامة؛ وما  
 ليس له أهلية النظر في هذا العلم فقد أصاب في ذلك؛ أو  
 رجل جهل كنهه وقدره فصد عنه جهلا وتقصيرا؛ ومن  
 جهل الشيء انعدم.

وأما المقتصد فيعلن أن امتلاك آداب الجدل والمناظرة من  
 باب الوسائل الموصلة إلى المقاصد؛ فإذا كانت المقاصد  
 شريفة محمودة كانت وسائلها المؤدية إليها كذلك.

وقد ذهب الإمام الغزالي رحمه الله مذهباً عجيباً يستنبط  
 فيه أشكال القياس المنطقي من القرآن، فاستنبط من قوله  
 تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ  
 فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وسماه الميزان الأول من موازين التعادل وقال: (إنه في قوة:  
 كل من يقدر على اطلاق الشمس فهو إله (أصل المعلوم

بالموضع والاتفاق)؛ والهي هو قادر على اطلاق الشمس  
(أصل معلوم بالمشاهدة)؛ إلهي هو الإله دونك.  
وقال إن ذلك: ما أثنى به الله تعالى على إبراهيم الخليل  
عليه السلام بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى  
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾  
[الأنعام: ٨٣]، واستنبط الشكل الثاني من موازين التعادل  
بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي  
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

وقال إنه في قوة الكوكب آفل (معلوم بالحس)؛ والإله ليس  
بآفل (معلوم بالنظر)؛ الكوكب ليس بإله. كتاب  
القسطاس ص ٢٨

هذا الاستدلال الفريد للإمام الغزالي يؤكد لك أن النقل  
الصحيح لا ينافي العقل الصريح؛ وأن أصول الاستدلال  
والقياس العقلي قد أقرها صاحب الشرع إمامنا؛ أو  
بالسكوت عنها، وما سكت عنه فهو عفو.



## المبحث الرابع:

### التوسع في الإمكانيات والأمنيات:

يعمل العقل البشري جاهدا لإدراك الواقع على ما هو عليه  
ليستطيع فهم النظريات والمفاهيم فهما صحيحا؛ ولكنه  
قد تعرض له بعض الأمور التي تشوش فهمه وتوقعه في  
الالتباس؛ والوهم وما ذاك إلا لقصور العقل البشري في  
فهم الحقائق دون بحث أو تجربة ولأجل ذلك أنزل الله  
الكتب وأرسل الرسل يعلمون الناس ويرشدونهم إلى سبل  
الهدى ويخرجونهم عن دائرة أهوائهم وغوائل أنفسهم؛  
فالكائن البشري محصور بين الحقيقة والخيال، حيث أن  
الذهن يقيم في عالم الفكر بينما الإنسان كائن فيزيائي  
محكوم بقوانين ونظم محسوسة، ومن هنا نشأ الصراع بين  
فهم الواقع كما هو وتصور الواقع كما يجب أن يكون.  
فالأول: هو الحقيقة.

والثاني: هو الوهم والخيال.

ففهم الأول يحدد لك القدرات والإمكانيات والثاني  
يجعلك تغرق في بحر الوهم والأمنيات، وقد بين النبي صلى  
الله عليه وسلم الفرق بين الإمكان والتمني بيانا شافيا

فقال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني». رواه الترمذي/ ٥٣١٩.

فالصنف الأول: هو العاقل الجاد في أمر دينه ودنياه والثاني: هو الخامل المقصر المتبع لهواه.

### المبحث الخامس:

#### حاجات الفرد والمجتمع:

يقول ابن خلدون في مقدمته إنك تسمع في كتب الحكماء قولهم: (أن الإنسان مدني بالطبع، يذكرونه في إثبات النبوات وغيرها والنسبة فيه إلى المدنية وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشري؛ ومع هذا القول أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا بطبعه، وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولا؛ ثم المشاركة وما بعدها وربما تفضي- المعاملة عند اتحاد الأغراض إلى المنازعة والمشاجرة فتنشأ المنافرة والمؤالفة والصدقة والعداوة وتؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم والقبائل

وليس ذلك على أي وجه اتفق، كما بين الهمل من الحيوانات بل البشر بما جعل الله فيهم من انتظام الأفعال وترتيبها بالفكر كما تقدم، جعل ذلك منتظما فيهم، ويسرهم لإيقاعه على وجوه سياسية وقوانين حكيمة ينكبون فيها عن المفسد إلى المصالح؛ وعن القبيح إلى الحسن بعد أن يميز القبائح والمفسدة بما ينشأ عن فعل ذلك عن تجربة صحيحة وعوائد معروفة ينشأ عن فعل ذلك عن تجربة صحيحة وعن عوائد معروفة بينهم، فيفارقون الهمل من الحيوان وتظهر عليهم نتيجة الفكر في انتظام الأفعال بعدها عن المفسد؛ هذه المعاني التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد، ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد لأنها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات.

وصدقها وكذبها يظهر قريبا في الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك ويستفيد كل واحد من البشر- القدر الذي يسر له منها، مقتنصا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه حتى يتعين له ما يجب وما ينبغي فعلا وتركها، وتحصل بملاسته الملكة في معاملة أبناء جنسه). انتهى كلامه.

وصدق رحمه الله فإن للفرد حاجات ورغبات لا تحصل إلا بالمخالطة فإن الإنسان في حاجة إلى البيع والشراء والمناكحة والسفر والتعلم والقرار.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلقاً على حكمة تشريع البيع قال: (والحكمة تقتضيه لأن حاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه غالباً، وصاحبه قد لا يبذله له، ففي تشريع البيع وسيلة إلى بلوغ الغرض من غير حرج<sup>٢٠</sup>. انتهى كلامه.

كما أن النكاح يذهب عنه الشوق ويبرد شهوته وتطيب به نفسه، فيكون اختلاطه بالناس سبباً في سعادته ويصير اجتماع الناس سبباً بقائهم وقوتهم، ولذلك أمر الله تعالى بالاجتماع ونهى عن الفرقة قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة». رواه الترمذي.

٢٠ مقدمة ابن خلدون/ م ٢ / ص ٢٤١.

ورغب صلى الله عليه وسلم في سكنى القرى بأنها موضع الاجتماع ومضان العلم والائتلاف، ونهى عن سكن البادية لأنها موطن الجفاء والجهل؛ ولأن الاحتكاك والتفاعل مع الناس يوجب تلاقح الأفكار ونضجها واكتمالها بما يجعل الاجتماع من مواطن العبقرية في الإسلام.

### المبحث السادس:

#### الصياغة الجديدة للأفكار القديمة:

أن مراجعة الأفكار القديمة والبحث في أسباب نشوئها وعوامل تطورها هو من الأمور المهمة التي تساعد على التخلص من الجمود، وتأسيس نهضة علمية تراعي المصالح الشرعية، وتتلاءم مع متطلبات الواقع وتحدياته وهذا يعتمد على عدة أمور، أهمها النظر في مواطن الخلل ومحاولة إصلاحها.

تكوين الملكة النقدية وترك التعصب للأشخاص أو الكيانات.

تحصيل القدرات العلمية التي تكون قادرة على صياغة أفكار جديدة تتلاءم مع الواقع وحاجيات الأفراد؛ وهذا

يحتاج إلى بصيرة ونظر ثاقب وفهم دقيق للواقع وهو ما يعبر عنه بفقهِ الواقع، ومما يساعد أيضا على تجديد الأفكار وإحيائها التعلّم من تجارب الأمم والاطلاع عليها؛ والاقْتباس منها فإن المعرفة نتاج تراكمي ومزيج من تلاحق الحضارات وتفاعل بين الآراء المختلفة، ولذلك أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورَة أصحابه، رغم أنه نبي يأتيه الوحي من السماء، وما ذاك إلا ليعلمنا اتخاذ القرار وتكوين الأفكار وأن الجهد الجماعي أقرب إلى الصواب من التفكير الفردي، ولئن تحطّط الجماعة مرة خير من أن ينفرد الواحد بالرأي دونها.

ومن النماذج المشرقة في تاريخنا الإسلامي نجد أمير المؤمنين أبا حفص عمر بن الخطاب الفاروق، والذي عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتداء به. الذي ألغى سهم المؤلّفة قلوبهم من مصارف الزكاة لأنه أدرك أن ذلك أمر خاص بزمن كان الإسلام فيه ضعيفا، وقد أعز الله دين ونصر نبيه فلم يعد حاجة إلى تأليف قلوب الناس؛ وعطل حد الردة عام الرماد لانتشار الفقر ودرءا للحد بشبهة الضرورة، وغيرها من المواقف البديعة التي تتم عن فهم دقيق وبصيرة ثاقبة.

## المبحث السابع:

### العلاقة بين عالم الأفكار والواقع:

وهنا السؤال الذي يطرح نفسه هل تغيير الأفكار يؤثر في تغيير

الواقع؟ الجواب نعم، فالصياغة الصحيحة للأفكار لها فعالية كبيرة في التأثير في الواقع، وذلك لأن الإنجازات العظيمة تبدأ بفكرة، فكلما تم سبر الفكرة ودراستها أكثر كلما كانت فعاليتها في الواقع أحسن وأفضل وعلى عكس ما يتصوره كثير من الناس أن الانشغال بعالم الأفكار واستهلاك الوقت فيه ليس ابتعادا عن الواقع أو انفصالا عنه إنما هو على العكس تماما، فهو أخصر- سبيل نحو تغيير الواقع بأسرع وقت وبأقل كلفة مثال ذلك هي عبارة عن تجربة قام بها فريق خبراء ياباني جعلوا فريقين من العمالة وكلفوهم بإنجاز مشروع مدة عمله مائة ساعة؛ وأعطوا للفريق الأول مدة خمس ساعات للتفكير ثم مباشرة العمل؛ وأعطوا الفريق الثاني مدة عشرين ساعة للتفكير وبعد انتهاء العمل خلصوا إلى أن الفريق الثاني الذي أخذ مدة تفكير أطول تمكن من إنهاء العمل

بكفاءة أعلى وفي وقت أقل، وذلك لأن التأسيس النظري الفكري لأي عمل يطور نظم العمل ويقلل من الأخطاء فيعطي نتائج أحسن، فالمفكر إذا ليس شخصا متعاليا عن الواقع أو عابدا منقطعا في صومعته، أو مترفع ينظر من برجه العجيب، وإنما هو أشد الناس ارتباطا بالواقع؛ وأشد الناس حرصا على فهم أصوله وكيفية تحسينه وتطويره، كما أن الأفكار السلبية قد تؤدي إلى اتخاذ قرارات كارثية، مثال ذلك ما يسمى بأزمة المرفق العام، ويسمى أيضا معضلة السجين، وهي نظرية تعبر عن أنانية الفرد وإيثاره لمصلحته الشخصية، مما يعود عليه بالضرر وعلى المجتمع. ومن أمثلتها المشهورة أن أهل قرية قد اتفقوا على أن يتبرع كل فرد بكوب من الحليب يتم تجميعه في خزان ليتم تجفيفه والاستفادة منه بعد ذلك، فقال أحدهم في نفسه أنا سأضع كوبا من الماء بدل كوب الحليب، فكوب صغير لن يظهر تأثيره في خزان كبير، فلما امتلأ الخزان اكتشف أهل القرية أنه ممتلئ ماء، فطريقة التفكير الأنانية للفرد أدت إلى هذه النتيجة الكارثية، ولذلك نجد أن الشريعة الإسلامية أغلقت الباب في وجه هذه الأساليب.



فأوجب الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على ما فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤدي من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا». رواه البخاري<sup>١</sup>

وهذه هي ميزة الشرع الإسلامي أنه يحمي المرء من شر نفسه؛ ويكبت قوى الشر داخله حتى لا يهلك ويهلك معه غيره.



## الفصل التاسع:

### معيور الموضوع العبقري:

#### المبحث الأول:

**الاختراع الجديد:** القدرة على الإبداع والاختراع هي الفكرة المركزية في الشخصية العبقرية؛ فالفرق بين العبقري وغيره هو الخيال الشاسع والطموح الجامح؛ هما وقود الأفكار الجديدة والابتكارات البديعة إلا أنه يوجد عامل آخر مهم في مقومات الاختراع الجديد ألا وهو مدى حاجة الناس إليه؛ ومدى تأثيره في الحياة البشرية، فالحاجة أم الاختراع وكلما كانت الحاجة إلى هذا الاختراع أشد كلما كان قدره أعظم، فمثلا عندما قام المخترع جراهنديل باختراع الهاتف فكر في كيفية حاجة الناس للتواصل عند تباعد المسافات، ونلاحظ أن هذا الاختراع قد كان نقلة نوعية في الحياة البشرية حيث وفر كثيرا من التعب والأموال وسرع نسق التطوير والتعمير، فالعامل الأول في بنية الاقتراع المتميز هو سد حاجة البشرية، والمخترع البارز أن عليه أن يدرك هذه المسألة في المقام الأول، ثم بعد أن يكون المخترع قد حدد حاجته إلى فترة

ثانية وهي مرحلة الفكرة؛ والتي تقوم أساسا على اعتصار الذهن وتبسيطه على المعقولات بحيث يتمكن من إيجاد الحلول والأفكار، ثم بعد ذلك يتم تدوينها دون مناقشتها؛ بل يكفي فقط بطرحها، لينتقل بعد ذلك إلى مرحلة أخرى وهي تصميم النموذج، وفي هذه المرحلة ينتقل الاختراع من حيز الأفكار إلى حيز المحسوسات، فيزداد وضوحا وتجليا بحيث يمكن للمخترع تعديله وتطويره ليصل إلى الهدف المنشود، ثم أخيرا مرحلة التطبيق والتي يأخذ فيها الاختراع شكله الحقيقي ويرى أثره في الواقع ويتم في هذه المرحلة متابعته لاكتشاف أي خلل أو مشاكل تعترضه.

### المبحث الثاني:

مواكبة حضارة الإنسان وواقعه: يقول ابن خلدون رحمه الله: (إن البدو أقدم من الحضرة والسابق عليه؛ وإن البادية أصل العمران والأمصار، والأمصار مدد لها؛ فالبدو هم المقتصرون على الضروري من الأوقات والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولا شك أن الضرورية أقدم من الحاجية، والكمال سابق عليه؛ ولأن الضروري

أصل والكمالي فرع ناشئ عنه؛ فالبدو أصل للمدن والحضري وسابق عليهما). انتهى كلامه تاريخ ابن خلدون<sup>٢٢</sup>

وفي مفهوم شامل عرف ادوارد تايلور الحضارة: (بأنها الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات والقيم والتقاليد والقوانين والمعلومات والفنون وأي عادات أو سلوكيات أو إمكانات يمكن أن يحصل عليه فرد ما في مجتمع ما) انتهى كلامه<sup>٢٣</sup>.

يستطيع الإنسان بما حباه الله به من ذكاء وعقل أن يطور أساليب معيشته بالاختراعات والحيل التي جعلته يطوع الطبيعة لخدمته والناظر في نشوء الحضارة وتطورها يجد أنه لم تقم حضارة بنفسها وإنما استلهمت أفكار الحضارة التي سبقتها وقامت على أنقاضها، وبمعنى أوضح أكملت النقائص التي كانت في الحضارات الأخرى وبذلك غلبتها وظهرت عليها؛ فسبب قيام أي حضارة هو تلبية احتياجات أفرادها الاجتماعية والسياسية والدينية بل الدلالات البسيطة.

٢٢ تاريخ ابن خلدون / ١٥٠

٢٣ الحضارة العربية والإسلامية وتأثيرها العالمي / ١١.

لمفهوم الحضارة تدل على معنى الحضور الذي هو ضد الغياب، وهذا فيه دلالة على أنه ينبغي أن تكون الأمم حاضرة بعلوم وحضارة عصرها؛ ومن ذلك قولهم للإنسان متحضر أنه مواكب لحضارة عصره وإنسان متخلف إذا كان غير مدرك لعلوم عصره فمن غير المعقول اليوم أن يركب الإنسان الإبل والخيل في سفره أو أن يقتصر على السيف والرمح في محاربة عدوه؛ فإذا لم يكن الإنسان منسجماً مع متطلبات عصره وأهل زمنه لم يكن له أثر أو ذكر بين الناس، بل سيكون نسياً منسياً ورسمًا خفياً.

ويقول أحمد السايح:

(لفظ الحضارة في مفهومه الحديث ومفهومه العالمي المعاصر قد أصبح أكثر اتساعاً مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي التقليدي؛ وإذا كان أصل الحضارة الإقامة في الحظر فإن المعاجم اللغوية الحديثة ترى أنها هي الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضرة، وبعبارة أخرى أكثر شمولاً هي: الحصيلة الشاملة المدنية والثقافية والفكر ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية، ولهذا كانت الحضارة هي: الخطة العريضة كما وكيفاً التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ومنها

الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها  
الأطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الإنسان أو  
الجماعات من مرحلة إلى مرحلة). انتهى كلامه..<sup>٢٤</sup>

### المبحث الثالث:

#### أثبته الواقعية:

كما قلنا سابقا أن العبقرية ليس كائنا برجوازيا يقبع  
داخل قصره المشيد وبرجه العجبي؛ وإنما هو واحد من أبناء  
الناس يعايش مشاغلهم، وهمومهم بل وعليه السعي في  
حل مشاكلهم وقضاء حوائجهم كما كان سيد الخلق  
صلوات ربي وسلامه عليه وصحابته من بعده، وكما هو  
شأن الأطباء الذين يسعون في إيجاد اللقاحات والأدوية،  
والعلماء، والأدباء والمفكرين الذين يعايشون الواقع  
 ويفهمونه فهما جيدا، ويسعون جاهدين في إصلاحه حتى  
يتوافق مع القيم والأخلاق الإسلامية فقد نبه الإسلام على  
حقيقة هامة مفادها أنه من المستحيل كبت نوازع  
جوهرية الإنسان المادة والروح ومصادرة ما طال بهما  
الضرورة؛ بل الواجب السعي في سد هذه الحاجات بطرق

شريفة تحفظ كرامته وتميزه عن باقي المخلوقات التي تقاسمه الغرائز والشهوات، والشريعة الإسلامية تراعي الفطرة الانسانية وتتعامل مع الإنسان باعتباره كائنا ضعيفا محدود الطاقتين من العقائد إلا بما ينسجم مع حدود عقله وتصوراته من خلال بيان حقائق لا تعقيد فيها كما لم تكلفه من العبادات ما يفوق وسعه وقدرته بالإضافة للاعتراف بحاجته للطعام والشراب والنكاح ناهيك عن مراعاة ظروفه وأحواله التي قد تعثره من مرض أو غير ذلك، فالإسلام دين الفطرة يدعو إلى الصلاح وسعادة الإنسان ورفع الحرج عن البشرية ولذلك لا تعذب عنه العقول السليمة.

### المبحث الرابع:

### براءة الاختراع:

من بركة العلم أن ينسب العلم لأهله، وقال علي رضي الله عنه: (كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه ما ليس من أهله). وقد ذم الله تبارك وتعالى الذين يحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ

يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْتَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ  
وَأَلَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المتشيع بما لم يعط  
كلابس ثوبي زور».

والمتشيع: هو المتكثر بأكثر مما عنده يرأى به الناس  
ويتكبر به، ويمكن اعتباره هذا الحديث أصلاً في حماية  
حقوق الملكية الفكرية أو ما يسمى ببراءة الاختراع.

وبراءة الاختراع: هي امتياز خاص يمنح بشكل رسمي  
لمخترع للمخترع في فترة زمنية محددة مقابل سماحه  
للعمامة بالاطلاع على اختراعه، ومن شروطها أن تكون  
الفكرة جديدة وغير بديهية وأن تكون قابلة للتطبيق  
الصناعي؛ ولا تكن مسروقة أو مستنسخة، وهذا عامل  
مهمة في تحفيز المخترعين وتشجيعهم إذ لو لم تكن  
حقوقهم محفوظة و مصانة عن العبث والسرقة لذهبت  
جهودهم وأتعابهم أدراج الرياح، ولا ما تمايز الناس  
وتفاضلوا ولا ما عرف أهل العلم والفضل، ولا ما عرف  
لأهل الفضل لأهل العلم والفضل قدرهم ومكانتهم، ولا  
دخل في هاته السوق يعني سوق العلم والابتكار من ليس  
من أهلها وليس شيء أفسد على العلم من الدخلاء



والأدعياء فإن ضررهم عظيم وخطرهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

### المبحث الخامس:

#### الاختراع المفيد:

(الآن أصبحت الموت مدمر العالم) هكذا قال روبرت اوبنهايمر ١٨ فبراير ألف وتسعمئة وسبعة وستين) بعد الانتهاء من صنع القنبلة النووية.

اوبنهايمر ويعرف أيضا بوالد القنبلة النووية ومدرسة الجهة النظرية بجامعة كاليفورنيا والمدير العلمي على مشروع منهاتن لتصنيع السلاح النووي الأول في الحرب العالمية الثانية وقد اخترع أخطر سلاح عرفته البشرية وصرح بندمه على ذلك وكان الملائكة تنظر إلى اختراع اوبنهايمر عندما قالت: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فقد أمر الإسلام بالإصلاح في الأرض وعمارته، ونهى عن إفسادها وإهلاك الحرث والنسل فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] فجرنا إراقة الدماء وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة؛ بل إن الإسلام حث أبلغ الحث على بذل الجهد واستفراغ الوسع في إعمار الأرض حتى في أحلك الظروف، كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»<sup>٢٥</sup>

وحكم أن الإسلام حرص على حماية الطبيعة والبيئة بما فيها من حيوان وطيور وماء وهواء، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَرَمَ مَكَّةَ وَأَنْتَ أَحْرَمُ الْمَدِينَةِ حَرَامَ مَا بَيْنَ حَرْتَيْهَا وَحَمَاهَا كُلِّهَا، لَا يَقْتُلُ خِلَافَهَا وَلَا يَنْفِرُ صَيْدَهَا وَلَا تَلْتَقُطُ لِقَطَّتِهَا إِلَّا لِمَنْ أَشَارَ بِهَا، وَلَا تَقْطَعُ مِنْهَا شَجَرَةً إِلَّا أَنْ يَعْلفَ الرَّجُلُ بَعِيرَهُ»<sup>٢٦</sup>.

٢٥ أخرجه مسلم/ ٢١٢٩.

٢٦ رواه البخاري ٥٩.

وحارب الإسلام جميع مظاهر السلبية ونزع عنها كل المبررات الشرعية فبدعت التبتل الانقطاع، واعتزال الحياة العامة وضعف الأجر بالعمل وحث على الضرب في الأرض، والمشى- في مناكبها، وحث على عمارة الأرض، وإحياء الموات، وفي هذا السياق ينبغي أن تتنزل مسألة الاختراع المفيد، فكل اختراع يرتكز على هاته المبادئ التي أرساها الإسلام ودعا إليها لا شك أنه أمر محمود وعمل مبرور، وما عدا ذلك مما يؤدي إلى تدمير الطبيعة، وإهلاك البلاد والعباد فهو وبال على البشرية، وشر عظيم، ولذلك نجد أن الإسلام قد قدم العناية بإصلاح النفس على جميع أنواع الإصلاح والعمارة لأن صلاح الإنسان في نفسه هو ضمان لصلاح البشرية، فاهتم بعمارة نفس الإنسان أولاً وتزكية إيمانه قبل كل شيء، بل وسعى إلى تعزيز روح التضحية والجهاد في النفس الانسانية حتى تسمو إلى عوالم الإيثار وقد أخبر تعالى أن هذا الإعمار لا يعدله حتى إعمار أفضل من بيوت الله في الأرض فقال سبحانه: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩].

فالإعمار المعنوي هو الأساس الذي يقوم عليه الإعمار  
الحضاري.



## فهرس المحتويات:

### المحتويات

- ٣..... مفهوم العبقرية وارتباطها بمفاهيم أخرى.
- ٣..... المبحث الأول:
- العبقرية: ملكة كامنة في النفس تمكن صاحبها من تحقيق إنجازات  
باهرة. .... ٤
- ٤..... المبحث الثاني:
- ارتباط العبقرية بالجنون في ميزان الإسلام: ..... ٤
- ٢- العبقرية والوراثة: ..... ١٠
- العبقرية وارتباطها بالذكاء في ميزان الاسلام: ..... ١٢
- ١٤..... المبحث الخامس:
- ارتباط العبقرية بالأسرة والمجتمع في ميزان الاسلام..... ١٤
- ١٧..... الفصل الثاني:
- ١٧..... مقدمات للعبقرية في الاسلام:
- ١٧..... المبحث الأول:
- الإيمان مبدأً وضرورة للعبقرية في الاسلام..... ١٧
- ١٨..... المبحث الثاني:

- أقوال الملاحدة في وجود الله: ..... ١٨
- المبحث الثالث: ..... ٢١
- عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم. .... ٢١
- المبحث الرابع: ..... ٢٥
- مفاتيح العبقرية في الاسلام. .... ٢٥
- الفصل الثالث: ..... ٢٩
- ارتكازات العبقرية في الإسلام: ..... ٢٩
- معرفة تعاليم الإسلام ومقاصدها: ..... ٢٩
- المبحث الثاني: ..... ٣٢
- الاسترسال في الأفكار ضمن شرائع الإسلام: ..... ٣٢
- المبحث الثالث: ..... ٣٤
- تلازم الظاهر والباطن: ..... ٣٤
- المبحث الرابع: ..... ٣٦
- القدوة الصالحة: ..... ٣٦
- المبحث الخامس: ..... ٣٩
- البيئة المحفزة: ..... ٣٩
- الفصل الرابع: ..... ٤٣
- صفات العبقرية المسلمة: ..... ٤٣

- ٤٣.....المبحث الأول:
- ٤٣.....الاستعداد الذهني:
- ٤٥.....المبحث الثاني:
- ٤٥.....التوازن الذاتي:
- ٤٧.....المبحث الثالث:
- ٤٧.....الحلم والأناة:
- ٥٠.....المبحث الرابع:
- ٥٠.....المرونة الفكرية:
- ٥٢.....المبحث الخامس:
- ٥٢.....معرفة الأولوية:
- ٥٤.....المبحث السادس:
- ٥٤.....الدقة في عرض المواضيع:
- ٥٥.....الفصل الخامس:
- ٥٥.....تركيبية الشخصية العبقرية:
- ٥٥.....المبحث الأول: علاقته مع الله:
- ٥٧.....المبحث الثاني:
- ٥٧.....علاقته مع نفسه:
- ٥٩.....المبحث الثالث:

- ٥٩..... علاقته بالكون:
- ٦١..... المبحث الرابع:
- ٦١..... علاقته مع المجتمع:
- ٦٣..... المبحث الخامس:
- ٦٣..... علاقته مع التاريخ:
- ٦٦..... الفصل السادس:
- ٦٦..... منابع العبقرية:
- ٦٦..... المبحث الأول: التسييح:
- ٦٨..... المبحث الثاني:
- ٦٨..... الخلوة:
- ٧٠..... المبحث الثالث:
- ٧٠..... تدبر القرآن وفهم معانيه:
- ٧٢..... المبحث الرابع:
- ٧٢..... فقه السيرة النبوية:
- ٧٥..... المبحث الخامس:
- ٧٥..... قراءة في سير عظماء الإسلام:
- ٧٨..... الفصل السابع:
- ٧٨..... نشأت الأفكار العبقرية في الإسلام:



- ٧٨ ..... المبحث الأول:
- ٧٨ ..... الملاحظة:
- ٧٩ ..... المبحث الثاني:
- ٧٩ ..... المقارنة:
- ٨٢ ..... المبحث الثالث:
- ٨٢ ..... الإصغاء:
- ٨٣ ..... المبحث الرابع:
- ٨٣ ..... الانطلاق من الجزء إلى الكل:
- ٨٥ ..... المبحث الخامس:
- ٨٥ ..... الاستنتاج:
- ٨٧ ..... الفصل الثامن:
- ٨٧ ..... مواطن العبرية في الإسلام:
- ٨٧ ..... المبحث الأول: فهم السنن الكونية:
- ٩١ ..... المبحث الثاني:
- ٩١ ..... دراسة المذاهب الأخرى نقدا موضوعيا:
- ٩٣ ..... المبحث الثالث: القياسات.
- ٩٣ ..... القياس المنطقي:
- ٩٧ ..... المبحث الرابع:

- ٩٧.....التوسع في الإمكانيات والأمنيات:
- ٩٨.....المبحث الخامس:
- ٩٨.....حاجات الفرد والمجتمع:
- ١٠١.....المبحث السادس:
- ١٠١.....الصياغة الجديدة للأفكار القديمة:
- ١٠٣.....المبحث السابع:
- ١٠٣.....العلاقة بين عالم الأفكار والواقع:
- ١٠٦.....الفصل التاسع:
- ١٠٦.....معيور الموضوع العبقري:
- ١٠٦.....المبحث الأول:
- ١٠٧.....المبحث الثاني:
- ١١٠.....المبحث الثالث:
- ١١٠.....أثبته الواقعية:
- ١١١.....المبحث الرابع:
- ١١١.....براءة الاختراع:
- ١١٣.....المبحث الخامس:
- ١١٣.....الاختراع المفيد:

## فهرس المصادر والمراجع:

- صحيح مسلم  
صحيح البخاري  
إحياء علوم الدين المجلد الثاني  
سنن الترمذي  
كتاب الآحاد في الغرب/ رمسيس عوض  
شرح بلوغ المرام  
السنن الكبرى للنسائي  
الترغيب والترهيب  
الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة ابن قيم الجوزية  
الأخلاق والسير لابن حزم  
صحيح ابن ماجه  
تفسير القرطبي  
التيسير بشرح الجامع الصغير لابن المناوي  
سنن أبي داود  
صحيح ابن حبان